لا تحصوها

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

مدير النشر
مهند يحى

الكتاب : لا تحصوها
تأليف : رامي زين عريشة
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٧٢٤٦ / ٢٠١٩
الترقيم الدولي : 2 - 63 - 6660 - 977 - 978

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

لا تحصوها

رامي زين عريشة

المقدمة

أبتغي من كتابي هذا تذكيري وإياكم بنعم الله علينا، والتي لا تُعدّ ولا تُحصى كما قال عز وجل في كتابه العزيز: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) والتي تحتاج إلى مزيدٍ من التأمل والتدبر، فوجودها بدون عناء ومشقة منا، جعلنا نغفل عظم النعم التي أنعم الله بها علينا، قال الله سبحانه وتعالى في صورة لقمان: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً).

***

نعمة الإنسان

لقد منّ الله عليك حينما خلقك في صورة إنسان وكرمك وميزك بالعقل عن غيرك من المخلوقات، فقد كان من الممكن أن يخلقك حيوان أو حشرة أو أي شيئًا أخر، ولكن الله أنعم عليك وخلقك إنسان تمشى على اثنان وليس على أربع، تمشى ولا تزحف، وجعلك خليفته في الأرض كي تعمرها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ **(التين ٤)**

خلقَكَ وسخّرَ لكَ كافة سبل العيش من غذاء وماء وهواء ووسائل مواصلات واتصال إلى غير ذلك من سبل العيش الكريم، وحفظك وجعل قتلك محرمًا، فقال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ

فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [سورة المائدة ـ الآية ٣٢].

لذلك صديقي العزيز عليك أن تستشعر مدى تكريم الله لك، وفضله عليك أنه خلقك إنسانًا، ومنحك شرف مقابلته، والوقوف بين يديه خمس مرات يوميًا في الصلاة، تناجيه فيسمعك تدعوه فيجيبك، تذكرُه في سرك يذكرك في سرّه، تذكره في ملأٍ يذكرُك في ملأٍ أفضل منهم وأكرم، تدنو منه شبرًا يدنو منك ذراعًا، تندُو منه ذراعًا يدنو منك باعًا، تأتيه مشيًا يأتيك هرولةً.

فقد قال الله عز وجل في حديثة القدسيّ: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلأٍ أَفْضَلَ مِنْهُمْ وَأَكْرَمَ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْكَ).

يا الله على الجمال، يا الله على العظمة؛ الله ملك الملوك الجبار، الرحمن الرحيم العظيم يخاطبك يا ابن آدم، أيّ فخرٍ لك بعد ذلك، وأيّ عزة، وأيّ كرم أكرمك الله به أن جعلك من نسل سيدنا آدم عليه السلام، وأيّ تفضّلٍ وأيّ كرم وعزة من الله عز وجل، أن يذكرك باسمِكَ على الملأ، ولك

أن تتخيل الملأ الذيّ سيذكر الله فيه اسمك، تخيّل معِي الأمر وحدّثني عن شعورك... إحساس لا يوصف بالطبع وسعادة غامرة أن تتخيّل أن الله عز وجل يذكر اسمك، يذكر اسمنا في الجرائد أو في التليفزيون تغمرنا السعادة ويملأنا الفخر فما بالك برب العالمين يذكر اسمك.

فيا إنسان تعامل على هذا الأساس، تعامل على أنك إنسان، أشعر بقيمة نفسك وعظمة تكريم الله لك، فلا تذل نفسك إلا لله، ولا تخَف إلا من الله، ولا تسأل إلا الله ولا تنتقص من آدميتك، ولا تجعل أحدًا كائِنًا من كان أن ينتقص منها، من جسدك... من كرامتك... من سمعتك... وكن متحضرًا، تذكر فضل الله عليك، واحمده على نعمة الإنسان.

***

نعمة العقل

هل تخيّلْتَ نفسك يومًا بدون عقل؟ هل تعرف ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنّك ستكون بلا تمييز... أسوء حالًا من المجنون، وأقل إدراكًا من الطفل الرضيع، لا تعرف ماذا تفعل وماذا لا تفعل، لا تعرف الحلال من الحرام، ولا تعرف الصواب من الخطأ، كنتَ ستعبر الطريق السريع دون حذر فتصدمك سيارة أحدهم، كنت ستخرج من المنزل بدون ملابسك أو بملابس مضحكة، كنت ستجرح نفسك أو تقتلها دون قصد، كنتَ ستمسك النار بيديك فتحرقك، أو تضع يدك في ماكينة فرم اللحوم فتفرمها، كنت ستشرب ما لا يصلح للشرب، وتأكل ما لا يصلح للأكل، كنتَ ستفعل الحوادث وتتسبب في الكوارث.

يقول الشاعر:

ولَمْ أرَ مثلَ الفقر أوضَعَ للْفتَى

ولم أرَ مِثْل المَالِ أرفَعَ للنّذْل

ولم أرَ مِن عدمٍ أضرّ على الفتى

إذا عاش بين الناس من عدم العقل

أمرٌ صعب أليس كذلك؟ ولكن الحمد لله الذي ميّزَنا وكرّمنا بنعمة العقل عن سائر المخلوقات، وعافانا من الابتلاء في عقولنا، فعقلك كنزك، هو دليلك ومرشدك، هو سبب سعادتك وسبب تعاستك، هو سبب راحتك وسبب شقائك، هو على حسب ما تستخدمه يكون لك... فلولا عقلك ما كنت تستطيع أن تفعل أتفه الأشياء وأبسطها، ولا كنتَ ستتخذ قرارًا واحدًا، ولا كنتَ ستخطو خطوة إلى الأمام ولا كنت ستنجح.

قال الإمام الصادق: **(العقل دليل المؤمن)**

لولا نعمة العقل ما كان الهاتف المحمول الذي يساعدك على التواصل بسهولة ويسرّ مهما بعدت المسافات، ولا السيارة التي تنقلُك من مكان إلى آخر في بضع دقائق فقط، ولا الطائرة التي تنقِلُك آلاف الكيلومترات بين الدول في ساعات معدودة،

مـا كنـت تسـتطيع أن تشـاهد مبـاراة كـرة قـدم في أي مـكان في العـالم وأنت جالـسٌ في بيتك، مـا كنت وما كنت ومـا كنت....

قال ابن دريد:

وأفضل قسم الله للمرء عقله

فليس من الخيرات شيء يقاربه

فزين الفتى في الناس صحة عقله

وإن كان محظورًا عليه مكاسبه

ويزري به في الناس قلة عقله

وإن كرمت أعراقه ومناسبه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله

فقد كملت أخلاقه ومآربه

فعقلـك هـذا الـذي سـاعدك أن تكـون مـن المتفوقـين في دراسـتك وعملـك، عقلـك هـذا الـذي سـاعدك -بفضـل الله طبعًـا- أن تتوصـل إلى فكرة مـشروع تجاري ناجـح، وتجني منه المكاسـب، عقلـك هذا الـذي سـاعدك أن تختار ثيابـك الجميل الـذي تلبسـها، وزوجتـك الصالحـة التـي تزوجتهـا... عقلـك هـو مستشـارك الأمين الـذي لن يخونَك مـا لم تخونـه، وخيانتك

لعقلك تكون عن طريق تغييبه بالمسكرات، فإياك وخيانة عقلك فهي كفيلة بتحويلك إلى مجرم، أو بإنهاء حياتك لأنك وأنت مغيب تكون قد رفضت هدية الله لك ونعمته عليك وارتضيتَ أن تكون شيئًا آخر غير الإنسان، المخدرات والمسكرات عدو العقل الأول، فاحذر أن تتهاون بالأمر أو تأخذه باستخفاف.

من وصلوا إلى المصحات الآن بدأوا البداية المعتادة، ألا وهي الشرب على سبيل التجربة أو على سبيل الفرفشة، أو على سبيل الانفصال عن واقع الحياة الكئيب الممل الخانق، ولكن انظر أين انتهى بهم الأمر، أنفقوا أموالًا باهظة على مسكراتهم ويَصرِفون أضعافها الآن على علاجهم.

صدقني صديقي العزيز المسكرات عدو العقل الأول، تظل تطعنُه طعنةً تلو الأخرى حتى تنال منه تمامًا، احذر أن تخون عقلك فيخونك؛ فتجد نفسك في قفص الاتهام متهمًا بالسرقة أو بقتل عزيز لديك.

عن أبي أُمامة وأبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: **(لمّا خلق الله العقل قال له: أَقْبِل فأَقْبَلَ، ثمّ قال له: أَدْبِر فَأَدْبَرَ، قال: وعِزَّتي وجلالي ما خلقْتُ خلْقًا أحبَّ إليّ منك، بك أُعطي، وبك آخُذ)**

هـل تأمّلـتَ هـذا الحديـث صديقـي العزيـز؟ الله عـز وجل يقسـم للعقـل بعزته وجلالـه بأنه لم يخلـق خلقًا أحـب إليه منه، وقـد جعـل الله هـذا العقـل فيكَ يـا عبـد الله فهنيئًا لي ولـك أننا مـن أصحـاب العقول.

يقـول سـيدنا محمـد ﷺ: (**مـن لا عقـل لـه لا ديـن لـه، ومن لا ديـن لـه لا عقـل لـه، وتبـارك الـذي قسـمَ العقـل بـين عباده أشـتاتًا، إنّ الرّجلـين ليسْـتوي عملهـما، وبِرُّهمـا، وصَوْمهـما، وصلاتهـما، ويختلفـان في العقـل كالـذرَّة جنْـبَ أُحد، وما قسـم الله لِعِبـاده نصيبًـا أوْفـرَ مـن العقـل واليقـين**).

قيـل لابـن المبارك: مـا خير مـا أُعطِـي الرجل؟ قـال: غريزة عقل.

تنويـه: أن محـل العقـل القلـب، وهـو صريـح قـولِ الله تعـالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحـج: ٤٦]

قـال الشـيخ محمـد الشـنقيطي - رحمـه الله-: ومـن الخطـأ قـول الفلاسـفة: إنَّ محـل العقـل الدمـاغ، وقـد تبعهـم في ذلك قليـلٌ مـن المسـلمين، وعامـةُ علـماء المسـلمين أن محـل العقـل

القلب، فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فعابهم الله بأنهم لا يفقهون، والفقه الذي هو الفهْم لا يكون إلا بالعقل، فدلّ على أن محل العقل القلب.

فاحمد الله صديقي العزيز على نعمة العقل، الذي إن أحسنْتَ استخدامه ظفرتَ بالدنيا والآخرة، وظفرتَ برضا الله عز وجل وعشتَ حياة سعيدة تتدبر وتتفكر وتتفنن كيف تسعد نفسك وأهلك، ومن حولك بما أنعم الله عليك من عقل، يقول الكاتب الروسي أنطون تشيخوف: (العقل متعة لا بديل لها).

فاحرص صديقي العزيز على تغذية فكرك وعقلك بما ينفعه من علوم وأدب، واحرص على ممارسة الرياضة؛ فكما تعلم العقل السليم في الجسم السليم.

***

نعمة البصر

مـن فضلـك صديقـي العزيز أغمـض عينيك لبضـع دقائق، ثـم قـم وتحـرك في المـكان الـذي تتواجـد فيـه الآن، ثـم أخبرني كـم مـرّة تعثّـرْت؟ وبكـم شيء اصطدمـت؟ أغمـض عينيـك وحدثنـي عـن شـعورك بالضيـق، وأنـت لا تـرى إلا الظـلام نصـبَ عينيـك يطبق على أنفاسـك، وشـعورك بالخـوف وأنت لا تـرى غير السـواد يحيـط بك، ثم تخيّـل أنك سـتكمل حياتك هكذا.

والآن صديقـي العزيـز، بعـد أن فتحـت عينيك مـرة أخرى حدثنـي عـن شـعورك، حدثني عـن الحيـاة التي دبَّـت فيك مرة أخـرى، حدثنـي عـن النـور الذي تـراه بعـد الظـلام، والألوان التـي تشـاهدها بعـد السـواد، حدثنـي عـن فـرق السـماء مـن الأرض، حدثنـي عـن فـرق السـما مـن العما.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ٧٨)

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك ٢٣)

فالبصر نعمة عظيمة من الله عز وجل، فلولا نعمة البصر ما كنتَ تحركتَ كما تشاء وذهبت هنا وهناك، إلى عملك، إلى أصدقائك، إلى أقربائك، كنت ستنتظر من يذهب معك إلى مشاويرك، كنت ستنتظر من يقضي لك حاجتك، كنت ستضبط مواعيدك على مواعيده، على ما يناسبه وليس ما يناسبك، كنتَ لن تكونَ حرَّ نفسك، ومن تجده اليوم قد لا تجده غدًا.

فلولا نعمة البصر ما كنت مارست الرياضة بحرّية، وشاهدت البرامج والمباريات المحببة لك في التلفاز، ماكنت استمتعت بقراءة القرآن الكريم، والكتب التي تحبها، لولا نعمة البصر ماكنت استمتعت بمشاهدة أبنائك، وهم يلعبون ويكبرون أمام عينيك، لولا نعمة البصر ما كنت رأيتَ وجه أبيك وأمك، لولا نعمة البصر ماكنت استمتَعْت بجمال الطبيعة التي خلقها الله عز وجل، وما كنت استطعمت

لـذة الوقوف أمـام البحر واستشـعرت أثرها في نفسـك، فالعين بوابـة القلـب، والقلـب ينـشرح بطيـب النظر.

قال الله تعالى: (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(يونس ١٠١)

مـن منـا صديقـي العزيـز لا يمتلـك هاتفًـا محمـولًا؟ ومـن منـا صديقـي العزيـز لا يوجد في هاتفـه كاميرا، حتـى أصبحَت الكامـيرا مـن أهـم المتطلبـات في الهاتـف المحمـول ومـن أهـم المعايـير التـي يقيَّـم الهاتـف بنـاء عليهـا، وأصبحَـت مدعـاة للتفاخـر فيـما بيننـا أن كلًّا منـا هاتفه بـه كامـيرا ذات إمكانيات عاليـة، هـذا بالإضافـة إلى أن الكثـير منـا يمتلك كامـيرا حديثة ليوثـق اللحظـات الجميلـة التـي تمـرّ عليـه وعـلى أصدقائـه وأسرتـه، هـل تعلـم صديقـي العزيـز أن كلًّا منـا يمتلـك في عينيـه كامـيرا ربّانيـة دقـة صورتهـا ٥٧٦ ميجـا بيكسـل! في حـين أن أغـلى هاتـف محمـول في العـالم دقـة الكامـيرا الخاصـة بـه ١٠٨٠ بيكسـل، وتحلـم الـشركات الكـبرى بالوصـول إلى ١٤٤٠ بيكسـل! حتـى شركات صناعـة شاشـات التلفاز أقصى دقـة صـورة وصلـت إليها كانـت ٤ آلاف بيكسـل! هـذا فضلًا عـن الرؤيـة المجسـمة ثلاثيـة الأبعـاد للصـور، والقـدرة عـلى

التمييز بين عشرة ملايين لون مختلف وهو ما لم تصل إليه أي آلة تصوير اخترعها الإنسان حتى الآن.

وشكر الله على نعمة البصر، لا يكون فقط بالقول وإنما بالفعل؛ فمساعدة غير المبصرين شكر، وغض البصر عن الحرام شكر، فقد أثبتَت الدراسات الاجتماعية أنّ عدم غض البصر يورث الاكتئاب والأمراض النفسية.

واعلم صديقي العزيز أن غضّ البصر يقوّي الإيمان ويورث في الوجه نورًا، وفي القلب طمأنينة وفي النفس راحة.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ **(النور ٣٠)**

قال أحد السلف:

(إذا أردت أن تعرف نعمة الله عليك فأغمض عينيك)

تنويه: وقد يكون فقدان البصر أيضًا نعمة! فلا تدري لو كنتَ مبصرًا، ماذا كنت ستفعل؟ فقد كان من الممكن ألا تستطيع أن تجاهد نفسك وتغضّ بصرك، فتسقط في الحرام، ولكن الله حينما حرمك من الإبصار، قد عافاك من مشاهدة العُرْيَ وما يغضبه وعصمك من النظر إلى الحرام.

عـن أنـس رضي الله عنه قال: سـمعتُ رسـول الله ﷺ يقول، إن الله عـز وجـل قـال: **(إذا ابتلَيْـتَ عبـدي بحبيبتيـه فصـبَرَ عوضتـه منهـما الجنـة) والمقصـود بحبيبتيـه هنـا عينيه.**

يقـول الشـيخ السـعودي خالـد بن عثـمان السـبت في شرحه لكتـاب ريـاض الصالحـين- للإمـام يحيـى بـن شرف النووي- بـاب الصـبر: أضِـف إلى ذلـك مـا يعـوّض الله بـه فاقـد البصر في هـذه الدنيـا من البصـيرة، والفهـم الثاقب، والحافظـة القوية مـا لا يوجـد عند كثـير من النـاس، وذلـك أن المشوشـات التي تسـبّب خلخلـة في ذهن الإنسـان غـير موجـودة بالنسـبة لفاقد البـصر غالبًـا؛ لأن عامّتهـا يكـون بسـبب المشـاهد التـي يراها، فتنطبـع في ذهنـه فتشـغله، فهـو يعيـد النظر فيهـا مرة بعـد مرة، ويفكـر فيهـا إلى غـير ذلـك، وأمـا فاقـد البـصر فإنـه لا يحصـل لـه شيء مـن ذلـك، فيكـون عنـده مـن قـوة الإدراك والحافظـة والتمييـز مـا لا يوجد عنـد كثير من النـاس، ولذلك لو سـألتَ كثـيرًا ممـن فقـدوا أبصارهـم، فإنـك تجـد عنـده مـن الحـسّ المرهـف الذي يميـز به بين كثير من الأشـياء، ويميّـز بين الناس بالأصـوات، ويميّـز بينهـم حتـى في قبضـة اليـد، والملامسـة، ولـو بعـد سـنين، ويسـتطيع في الغالـب أن يحـدّد عمر الإنسـان الـذي يتحـدث معه لأول مـرة، إذا سُـئِل كم عمر فـلان؟ فيأتي

بالعمـر، لربما زاد سـنة، أو نقص سـنة، ولربما أعطـاه الله المزيد، فيُـدرِكُ الألـوان في الجملـة، يـدرك أن هذا الإنسـان يلبـس ثوبًا فاقعًـا، أو شـديد الحمـرة، أو نحو ذلك.

قال أبو علاء المعرى:

قالـوا العمى منظر قبيح قلت بفقدانكم يهون

والله مافي الوجـــود شيء تأسَى على فقده العيون

***

نعمة السمع

بعض من الماء يدخل أذنيك صديقي العزيز يزعجك ويؤرقك، يفقدُك توازنك وتواصلك بشكل طبيعي مع الآخرين، دور انفلونزا يصيبك فيتسبب في انسداد أذنيك، فتضحَى لا تسمع الناس ولا تسمع حتى نفسك، فما بالك صديقي العزيز بالأصم.

إن نعمة السمع من أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا، فلولا نعمة السمع ما كنتَ تواصلتَ بشكل جيد وطبيعي مع الناس، تسمعهم وتحدثهم، لولا نعمة السمع ما كنتَ أخذتَ حذرك من السيارة المسرعة القادمة خلفك، وما كنتَ سمعتَ صوت إنذار الحريق، لولا نعمة السمع ما كنت استمتعت بسماع الأذان ولا القرآن، ولا بالصلاة خلف الإمام، لولا نعمة السمع ماكنت ستسمع البرامج المحببة لك، سواء على شاشات التلفاز أو في الراديو، لولا

نعمة السمع ما كنت استمتَعْتَ بسماع أصوات أولادك وهم يتلعثمون في الحديث في طفولتهم، وماكنت ارتوَيْتَ من كلمة بابا التي ينادونك بها، لولا نعمة السمع ما كنتَ استمتعتَ بسماع دعاء أبيك وأمك لك، لولا نعمة السمع ما كنت سمعتَ صوت موج البحر، الذي يُضفِي على النفس حالة من الاسترخاء والراحة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ **(الإنسان ٢)**

قال بعض العلماء: السمع أخطر لحياة الإنسان من البصر؛ لأن الإنسان بالسمع، يتلقّى الأصوات من الجهات الست، عن يمينه، وعن شماله، ومن أمامه، ومن خلفه، ومن فوقه، ومن تحته، في الظلام والنور، في الليل والنهار، على الرغم من الحواجز يصلُ السمع إلى أذنه، فكأن السمع يغطي البيت كله، إن كنت نائمًا تسمع حركة في أي غرفة أخرى في المنزل فتنتقل إليها، أما عينك لا تريك إلا أطراف غرفة التي توجد بها، إذا كنتَ تقود سيارةً، لا ترى إلا الذي أمامك، أما إذا كان هناك خللٌ في المحرك، أو خللٌ في إحدى العجلات، فمجرد سماعك للصوت تقف في الوقت المناسب.

وقد ورد ذكر كلمة (سمع) ومشتقاتها مائة وخمسة وثمانين مرة في القرآن الكريم، وقد تكرَّر تقديم السمع على البصر في عشرون موضعًا تقريبًا، في حين لم يقدّم البصر على السمع إلا في موضعين في سورة (الكهف ٢٦) و(السجدة ١٢)، بل أن بعض الآيات اكتفت بذكر السمع والعقل عند الحديث عن وسائل الهداية.

قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ **(الفرقان ٤٤)**

والطفل في الشهر السادس وهو في الرحم، يبدأ في الاستماع إلى الأصوات، فيسمَع قلب أمه، ويسمع حفيف المشيّمة ويسمع قرقرة الأمعاء وقد أجرَى بعض العلماء تجارب، سجّلوا أصوات ضربات القلب، وحفيف المشيمة، وقرقرات الأمعاء، وأسمعوها للطفل بعد الولادة، كان يبكي فسكت لمجرد سماعها.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ **(٨٧ المؤمنون)**

بالإضافة إلى أن السمع له دور كبير في تعلم الكلام منذ الطفولة؛ فالمعروف أن الإنسان يمتاز عن باقي المخلوقات

بقدرته على الإفصاح عما يريد، عن طريق اللغة التي يتخاطب بها مع الآخرين، ومن المعروف لدى الجميع أن الأطفال عندما يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعرفون شيئًا عن الكلام، بل هم يتعلَّمونه في السنوات الأولى من أعمارهم عن طريق المحاكاة، فهم يُقلِّدون الأصوات التي يسمعونها ممن حولهم، وشيئًا فشيئًا يستطيعون النطقَ ببعض الألفاظ السهلة أولًا، ثم الألفاظ المعقَّدة بعد ذلك شيئًا فشيئًا إلى أن يُصبِحوا قادرين على الكلام كغيرهم من بني جنسهم.

إنّ هذه العملية لا يمكن حدوثُها على الإطلاق ما لم يكونوا قادرين على سماع الأصوات التي تتردَّد حولهم، أي يكونوا متمتعين بحاسة السمع التي تعدُّ الوحيدة التي لا يستطيع الإنسان أن يُعطِّلها بإرادته، فأنت تستطيع إغماض عينيك حتى لا ترى شخصًا أو شيئًا بعينه، وتستطيع سدّ أنفك حتى لا تشتم رائحة معينة، وتستطيع الامتناع عن الطعام فلا تتذوق، ولكن الأذن لا تستطيع تعطيلها حتى ولو وضعت يديك عليها؛ لأن الصوت سوف يصلك.

ومن فضل الله ونعمة علينا أن جعل كل الحواس تنام ماعدا حاسة السمع، فأنت إذا قربتَ يدك من شخص نائم لا يستيقظ، واذا ملأت الغرفة عطرًا أو حتى غازًا سامًا فإنه

يستنشقه ويموت دون أن يستيقظ، ولكن إذا أحدثتَ صوتًا عاليًا، فإنه يستيقظ من النوم.

و في سورة الكهف يخبرنا جلّ جلاله بأن سبب نوم الفِتْية هذه السنين الطويلة هي أنه تعالى ضرَبَ على آذانهم فأصبح النهار كالليل بلا ضجيج.

قل تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) **(الكهف ١١)**

وشكر نعمة السمع لا يكون بالقول فقط وإنما أيضًا بالفعل، فلا نجلس في مجالس الغيبة والنميمة والخوض في الأعراض، ولا نجلس في مجالس اللغو، ولا نستمع إلى الغناء والموسيقى، ولا نعرض آذاننا إلى الضجيج المفرط غير المستحب.

قال الشاعر:

وسمعك صن عن سماع القبيح

كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند استماع القبيـــــح

شـــــريك لقائـــــله فانتبه

تنويه: وقد يكون فقدانك للسمع نعمة! نعَم نعمة؛ فما تدري فلعَلّ الله أراد أن يعصمَكَ من سماع السوء من غيبة ونميمة، وسَبّ ولعن وأغاني وغيرها مما يغضبه عز وجل، فلعلّ الله حفظك من سماع ما يضايقك ويثير غضبك، فالحمد لله على كل حال.

***

نعمة النطق

إن نعمة النطق من النعم المرتبطة بنعمة السمع، فمن يسمع يتكلم و الأصم أبكم، فكما أوضحت لك صديقي العزيز من قبل أن الأطفال عندما يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعرفون شيئًا عن الكلام، بل هم يتعلَّمونه في السنوات الأولى من أعمارهم عن طريق المحاكاة، فهم يُقلِّدون الأصوات التي يسمعونها ممن حولهم.

فإذا كنت ممن أنعم الله عليهم بنعمة النطق، فاحمد الله عز وجل وأشكره كثيرًا، فلولا نعمة النطق ماكنت عبّرت عما بداخلك، وما كنت تواصلت مع الناس، لولا نعمة النطق ماكنت استمتعت بتلاوة القرآن الكريم، وذكر الله عز وجل من تسبيح واستغفار وتكبير وتهليل وترديد للأذان، لولا نعمة النطق ما كنت استطعمت حلاوة الصلاة على النبي ﷺ، لولا نعمة النطق ما كنت استطعت إلقاء الخطب

والمرافعات والنصائح والمحاضرات، لولا نعمة النطق ماكنت شكوت وحكوت عما تشعر به من آلام وأحزان.

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ **(الرحمن ١-٤)**

يروى أحدهم أنه لاحظ انطواء بطة في حظيرة منزله عن باقي البط الموجود، وأن لها يومان لا تأكل حتى نزل وزنها، وأصبحت هزيلة، فقام بذبحها حتى لا يخسرها وعندئذ عرف سبب انطوائها، وعدم جريها على الأكل مثل غيرها، فقد وجد في حنجرتها الداخلية دبوس إبرة من دبابيس السيدات الخاص بالطرح والإيشربات قد أكلته مع الطعام فغرس في زورها، ومزقه وعزفت عن الأكل، ولم تستطيع الكلام ولا التعبير عما بداخلها من آلم عظيم.

فالإنسان يبدأ بالتكلم عندما يصل إلى عمر معين، تقريبًا الثالثة من عمره وهذه الحادثة تترائى لنا وكأنها شيء طبيعي، لأنها تبدأ عند الجميع في عمر متقارب يظن بعض الناس أن المحادثة أو الكلام أمرًا عاديًا، والحقيقة أن التحدث معجزة خارقة ذلك لأن الطفل لم يكن يعرف أي شيء عن الكلام قبل أن يبدأ بالتكلم.

يقول عالم اللسانيات البروفيسور(ستيفين بينكر) والمعروف بأبحاثه المتخصصة في هذا المجال:

(إننا لا نفكر بالنطق ونعتبره أمرًا عاديا، وننسى بسهولة أنه معجزة وهدية عجيبة لنا).

ضع شريط لاصق على فمك وانزل إلى الشارع وتعامل مع الناس، ثم صف لي شعورك بعد هذه التجربة، صف لي عدم قدرتك على توصيل ما تريده إلى الناس وعدم قدرة الناس على فهمك، صف لي ضجرك وغضبك لإحساسك بالغربة بين الناس وإحساسك أنك محبوس في نفسك، صوتك مكتوم فيك، تعّبر ولا أحد يفهمك تصرخ ولا أحد يجيبك .

قال الشاعر صلاح جاهين:

عيني رأت مولود على كتف أمه

يصرخ تهنن فيه يصرخ تضمه

يصرخ تقول يا بنى ما تنطق كلام

ده اللي ما يتكلمش يا كتر همه

واعلم صديقي العزيز أن شكر الله على نعمة النطق له صور كثيرة، فسكوتك عن الخوض في أعراض الناس شكر، كفك عن السباب واللعان شكر، قولك لما يرضى الله شكر، الكلمة الطيبة شكر، فاللهم لك الحمد ولك الشكر على نعمة النطق، اللهم أدمها نعمة وأحفظها من الزوال وقنا عذاب النار، اللهم لا تنطق ألسنتنا إلا بما يرضيك، اللهم اجعلنا من عبادك الذاكرين الحامدين الشاكرين.

تنويه: وقد يكون فقدانك للنطق أيضًا نعمة! فالله عز وجل الذى خلق نفسك أعلم بها وبالخير لها أكثر منك، فلا تدرى لو كنت تتكلم بماذا كنت ستنطق؟ بالحق أم بالباطل؟ بما يرضيه عز وجل أم بما يغضبه؟ فلا تدرى فلعلك كنت ستمشى بين الناس بالغيبة، والنميمة، والسباب، ولا يسلم الناس من لسانك، فيكون لسانك سبب في دخولك النار والعياذ بالله، فأبكمك الله ليعصمك ويحفظك من نفسك.

قال رسول الله ﷺ:

(وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)

***

نعمة الصحة

إن نعمة الصحة من أعظم نعم الله على عباده، بل تكاد تكون أعظم نعمة بعد نعمة الإيمان، كما يقول النبي ﷺ: **(ما أُوتي أحد بعد اليقين خيرًا من معافاة)**، فإذا رُزِقْت الصحة فقد رُزِقتَ خيرًا كثيرًا ونعيمًا وفيرًا، فالصحة تعني كل شيء وبالصحة تفعل كل شيء، فبالصحة تعمل وتنتج، تمشي وتجري، تصعد وتهبط، تتريّض، تقود السيارات والدراجات، تركب الخيل، وتصطاد، تزور أصدقائك وأقربائك، تقضي حاجتك وتساعد الآخرين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ وقد فسر الإمام القرطبي رحمه الله (من نِعمة) أي صحة جسم وسعة رزق وولد.

ونعمة الصحة لا يشعر بقيمتها إلا من فقدها ولو مؤقتًا، فمن منّا لم يصَب بمرض في يوم من الأيام، من منّا لم تضربه نوبة صداع، أو مغصٌ في المعدة، أو دور إنفلونزا أو غيره، استرجع بذاكرتك صديقي العزيز أيًا من هذه النوبات التي أصابتك، ثم استحضر الحالة التي كنت عليها وقتها، استحضر الألم الذي كنتَ تشعر به، استحضر إحساسك بالضعف والوهن، وفقدانك لطاقتك وصعوبة حركتك استحضر إحساسك بالعجز وقلة الحيلة، وأنتَ طريح الفراش لا تقوى على فعل شيء، استحضر هذا ثم انظر إلى حالك بعد أن شفاك الله، واستشعر الفرق وقل بصوت مسموع الحمد لله على نعمة الصحة.

يقول وهب بن منبه رحمه الله:-

(رؤوس النِّعم ثلاثة؛ فأولها: نعمة الإسلام التي لا تتمُّ نعمُه إلا بها، والثانية: نعمةُ العافية التي لا تطيبُ الحياةُ إلا بها والثالثة: نعمة الغِنَى التي لا يتمُّ العيشُ إلا به)

فصحة الإنسان كالبطارية، ينفذ شحنها شيئًا فشيئًا بالاستعمال، وللأسف هي بطارية غير قابلة للشحن مرة أخرى، فما ينفذ منها لا يعود، وأنت واستهلاكك، فإما أن

ترشد استهلاكَك فيمكث معك الشحن أطول فترة ممكنة، وإما أن تهدره في غير محله وبدون حساب فينفَذُ منك سريعًا.

اذهب إلى العيادات والمستشفيات واستمع إلى الحكايات، حكايات مَن أسرفوا على أنفسهم وأهدَرُوا شحن بطاريتهم، فستجد من كان يهمل في صحته في شبابه ويشرب كل أنواع الخمور، والآن هو يعالج من سرطان المعدة، وآخر كان يدخّن بشراهة دون حساب وهو الآن يعالج من سرطان الرئة، وثالث كان يتعاطَى المخدرات والآن هو يعالج من الربو وغيره... وغيره، عافانا الله وإياكم.

قول الإمام ابن رجب رحمه الله: (ومن حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله، وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله فوثب يومًا وثبةً شديدة فعُوتِبَ في ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصّغَر فحفظها الله علينا في الكبر)

جاء رجل إلى يونس بن عبيد رحمه الله يشكو ضيق حاله، فقال له: **(أيسرّك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا، قال: فبيديك مائة ألف؟ قال الرجل: لا، قال: فبرجليك؟ قال الرجل: لا، فذكّره يونس**

بن عبيد -رحمه الله- بنعم الله عليه، ثم قال له: أرى عندك مئين ألوف! وأنت تشكو الحاجة!)

فما فائدة المال بدون صحة؟! فهناك العديد من الأثرياء طرحاء الفراش ولا يستفيدون بمالهم في شيء، معظم أوقاتهم يقضونها في المستشفيات وغرف العمليات، لهم أكل معين وشرب معين لا يحيدون عنه، لو حادوا عنه لماتوا، وأنت بضيق حالك ملكٌ تمشي على الأرض تأكل ما تشاء وتشرب ما تشاء، استطاعوا بمالهم أن يشتروا الدواء ولكنهم لم يستطيعوا شراء الصحة.

هناك مثل إنجليزي يقول: **(أعطني الصحة وخذ ثروتي)**

قال رسول الله ﷺ: **(من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا)**

وشكر نعمة الصحة صديقي العزيز ليس فقط بالكلام وإنما بالفعل، فالكفُّ عما يؤذي صحّتك ويهلكها ويدمّرها شكر، الكفّ عن التدخين شكر والكَفّ عن تعاطي المسكرات شكر، والكفّ عن استخدام أي عضو في الجسد في معصية الله شكر، واستغلال الصحة في التقرّب إلى الله بالطاعات ومساعدة الناس شكر.

قال الله تعالى في حديثه القدسيّ: **(ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)**

قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ أَول ما يُسْأَل عنه يوم الْقِيَامَة – يَعْنِي الْعَبْدَ- من النَّعِيم أَنْ يُقَالَ له: أَلَمْ نُصِحَّ لك جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ من الْمَاءِ الْبَارِدِ؟)**

تنويه: ومرض المؤمن نعمة! قال رسول الله ﷺ: **(عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكَر فكَانَ خيرٌ له وإن أصابتُه ضرّاء صبر فكان خير له)**

فالمرض ابتلاء من الله عز وجل يمتحن به صبر المؤمن، فإن صبر غفَرَ الله له ذنبه وكفّر عنه سيئاته، ورفع درجاته، قال رسول الله ﷺ: **(ما من مسلم يصيبه أذًى من مرض فما سواه إلا حطّ الله بها سيئاته كما تحطّ الشجرة ورقها)**

(ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة)

كما أنّ المرض يهذب نفسك ويطهّر روحك ويلين قلبك، ويجعلك أكثر انكسارًا وتواضعًا وأكثر إحساسًا بغيرك من المرضَى والفقراء والضعفاء، المرض يقرّبك من الله عز وجل، المرض يعيدك إلى الطريق الصحيح، المرض ينبّهك إلى أن الموت قريب، المرض يجعل لسانك يعود مرة أخرى إلى ذكر الله بشكل مستمر... يا رب... يا رب، المرض يجعلكَ تستشعِر مدى أهمية الدعاء للمرضى، سواء بظهر الغيب أو وراء إمام، المرض يفهّمك ما معنى الألم، وما أهمية أن تعود مريضًا فتعود عليه زيارتك بالبهجة والسرور، المرض يجعلك أكثر تصدقًا وأكثر تبرعًا، سواء بمالك أو بدمك أو بأدوية فائضه عن حاجتك.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه شفاء العليل: **(انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحسّ به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها)**

بالإضافة إلى أن المرض سببٌ من أسباب النجاة من النار، فعن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ كان يزور مصابًا مصاب بالحمى، فقال له النبي ﷺ: **(أبشِر فإن الله يقول هذه ناري أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا؛ لتكون حظه من النار في الآخرة)**

والمرض أيضًا سبب من أسباب دخول الجنة، قال رسول الله ﷺ عندما جاءته امرأة مصابة بمرض الصرع: (**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة وإن شئتَ دعوتَ الله أن يعافيكِ، فقالت: أصبر**).

وأعلم صديقي العزيز أن ما كنت تفعله من الطاعات وأعمال الخير مرضاة لله والتقرب إليه، ومنعك المرض من فعله، فهو مكتوب لك ولو لم تفعله!

قال رسول الله ﷺ: (**إذا مرضَ العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**).

***

نعمة الشم

أقام العلماء موازنةً بين الشم، وبين البصر؛ فالعين لا ترى إلا بوسيطٍ وهو الضوء، ولكن الشم لا يحتاج إلى وسيط، تشمّ أنت ليلًا ونهارًا، في ضوءٍ شديد، وفي ظلمةٍ شديدة، ولا يحتاج الشم إلى اتصالٍ مباشر بينك وبين الشيء، كما هو في السمع، قالوا: الشمّ يعطيك دائرة أمانٍ واسعةٍ جدًا، وأنت نائم، قد تشمّ رائحة الغاز في البيت، لا صوت، ولا ضوء، ولا اتصال مباشر، أنت في غرفة النوم، وموقد الغاز في المطبخ، والأضواء مقفلة، والظلام شديد، والصوت معدوم، والاتصال المباشر معدوم، ومع ذلك تشمّ، فتستيقظ، وتغلق موقد الغاز.

كما أنك تستطيع عن طريق الشم أن تميّزَ الغثّ من السمين؛ فتعرف إذا كان هذا الطعام فاسد أم طيب.

ما أجمل أن تمسك بِوَردة وتستنشقها، فتخترق رائحتها الجميلة أنفك، وتتسلّل إلى نفسك فتحسن مزاجك، وتريح أعصابك، وما أطيب أن تشعل عودًا من البخور فتأخذك رائحته إلى عالم آخر، عالم من الراحة والسلام الداخلي والصفاء الذهني والنفسيّ، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الرائحة المنبعثة من البخور تقوّي عضلة القلب، وتساعد على فتح الشهية، وما أروع أن تضع العطور المحببة إليك، فتظل رائحتها عالقة في أنفك، فتحسن حالتك المزاجية وتذكّرك بذكرياتك الجميلة ومناسباتك السعيدة، وبالأماكن المحببة إليك وتزيد من ثقتك بنفسك، فالعطر الجميل يعزز ثقتك بنفسك تمامًا مثل اللباس الجميل.

و قد تم استخدام العلاج بالروائح العطرية، وذلك لأن حاسة الشم لها تأثير قوي علي الدماغ، وتتحكم في العاطفة والذكريات والعديد من الوظائف الأخرى، فعادة ما ترتبط الروائح بذكريات الأماكن والأشخاص.

ما أبدع أن تقف أمام البحر، تستنشق رائحة اليود المنبعثة منه، فيتحسن مزاجك وتسعد نفسك ويطمئن قلبك ويقل توترك، فقد أثبتَت الأبحاث احتواء هواء البحر على الأيونات السالبة التي تؤدي لزيادة سرعة امتصاص

الأكسجين، والتي تعمل على توازن هرمون السيرتونين مما يؤدي لتقليل التوتر والعصبية، بالإضافة لتأثير هواء البحر على إفراز الأندروفين الذي يعطي شعورًا بالراحة.

فلولا نعمة الشم ما كنتَ استمتعتَ بكل ذلك.

إذا أردت أن تعرف أهمية نعمة الشم، انظر إلى حالك عندما يصيبك دور إنفلونزا، انظر إلى انعدام هذه الحاسة وعدم قدرتك على اشتمام أي شيء؛ مما يؤثر بالطبع على حاسة التذوق لديك، فيجعل مذاق كل الأطعمة واحد، لا فرق بين حلو ومر، لا فرق بين طيب وفاسد، فالشم يساهم بجزء كبير في نكهة الطعام الذي نأكله، فنكهة الطعام هي محصلة عمل خلايا الشم مع خلايا الذوق؛ فالعلماء يقدّرون أن ٧٥ ٪ من حاسة التذوق عبارة عن عملية شمّ، وأن تأثر حاسة الشم سيؤدى إلى ضعف كبير في حاسة التذوق.

***

نعمة المال

جميعنا يمتلك المال، ولكن بنسب، فمِنّا الغني ومنّا متوسط الحال ومنا الفقير، فإذا كنت ممن أنعم الله عليهم بنعمة الغنَى، فاحمد الله عز وجل وافرح واحذر.

فأما عن الفرح فلأن الله عز وجل أنعم عليك بما لم ينعم به على غيرك، أنعم عليك بالرزق الوفير والمال الكثير، فلولا نعمة المال التي أنعم الله بها عليك ما كنت سكنت في الفيلا التي تسكن فيها الآن، وما كنت اشتريتَ بيتًا واثنين، لولا نعمة المال ما كنت ركبتَ السيارة الفارهة التي تركبها، وما كنت اشتريتَ الأشياء التي ترغبها، لولا نعمة المال ما كنت أكلتَ كل ما لذّ وطاب لنفسك، وما كنت لبستَ الثياب الذي يحلو لك، لولا نعمة المال ماكنت استطعتَ أن تُدخِل أولادك مدارس محترمة، وأندية كبيرة وما كنت لبَّيْتَ لهم جميع احتياجاتهم ووفّرتَ لهم حياة كريمة، لولا نعمة

المال ما كنت استطعت العلاج في أكبر المستشفيات، و ما كنت استطعت أن تفتح مشروعك، لولا نعمة المال ماكنت سافرت متنزهًا إلى العديد من دول العالم.

قال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (الكهف ٤٦)

انظر في نفسك وفي من حولك واستشعر عظم نعمة الله عليك، الذي عافاكَ من الذل والفقر والحاجة، الذي جعلك تمتلك المال الكافي لكي تحيا حياة كريمة أنت وأهلك، انظر إلى شركتك ومصنعك واستشعر نعمة الله عليك الذي رزقك المال لكي تُقِيم مشروعك الخاص وتكون حرّ نفسك، وانظر إلى غيرك الذي يعمل في وظيفتين أو أكثر، ويعاني من حكم النفس على النفس، انظر إلى الطعام الذي تأكله والشراب الذي تشربه، وكيف أنك تتنقل بين العديد من الأصناف بحرية وأريحية، كلما اشتهت نفسك طعامًا بعينه اشتريته، وانظر لمن هو أدنى منك، وكيف هو مسيّر لا مخيّر، يأكل الموجود ويختار من المحدود، وينتظر المواسم ليأكل ما تأكله أنت يوميًا، انظر إلى المطاعم التي تتناول فيها طعامك، وانظر لمن هو مسجون بقيمة فاتورة واحدة من فواتيرك اليومية، وانظر وانظر وانظر.... .

واحـذر صديقـي العزيـز، فالمـال اختبـار من الله عـز وجل؛ فـلا تغـتر وتحسـب أن الله عز وجل أغنـاك لأنه يحبـك، فلو كان الأمـر كذلـك مـا كان رزَقَ الله كافـرًا جنيهًـا واحـدًا، فـما بالك بالكفـار الأغنياء.

احـذر أن تنشـغل بالـرزق عـن الـرازق، وتنكـب عـلى وجهـك وتصيبـك شـهوة حـب المـال، ولعنـة جمعـه، وتنسـى فضـل الله وحقـه عليـك، احـذر أن يصيبـك المـال بالغـرور والتكـبر والتجـبر، وتحـرّى مصـادر مالـك، واحـذر جهـات إنفاقـه وتحرهـا، واعلـم أنـك مسـئولٌ عنـه؛ فـلا تُدخـل جنيهًا حرامًـا عـلى مالـك ولا تنفـق جنيهًـا في حـرام؛ فيغضـب الله عليـك ويسـلبك مـا رزقـك.

قـال تعـالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ **(الأنفـال ٢٨)**

قـال رسـول الله ﷺ: **(لا تـزول قدمَـا عبـد يـوم القيامة حتى يُسـأَل عـن أربع؛ عـن عمره فيـما أفناه، وعن جسـده فيـما أبلاه، وعـن علمـه مـاذا عمل فيـه، وعـن مالـه من أيـن اكتسـبه وفيما أنفقه)**

أما إذا كنتَ متوسط الحال، فانظر إلى هذه الورقة المالية الملوّنة التي تحوزها أيًا كانت قيمتها، واحمد الله عز وجل الذي رزقك إياها لتقضي حاجتك ولو مؤقتًا، وكفاك الحاجة وسؤال الناس، احمد الله الذي أعطاك ما يسأله غيرك.

واعلم صديقي العزيز أن المال وسيلة للعيش وليس غاية العيش، فتعامل معه على هذا الأساس واعلم أن شكر نعمة المال ليس بالكلام وإنما بالفعل؛ فاتقاء الله عز وجل بالامتثال لأوامره والانتهاء لنواهيه شكر، والصدقة شكر، والزكاة شكر، التبرع شكر، العمل الحلال شكر.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ **(الطلاق ٢-٣)**

وتتجلّى **(من حيث لا يحتسب)** في المال الذي يأتيك بدون انتظار ولا حساب منك، فتجد فجأة طفرة في مبيعات شركتك أو مصنعك عادت عليك بالربح فوق المعتاد، تجد مديرك في العمل يقول لك اذهب إلى الحسابات لاستلام مكافأة أو أرباح، إلى غير ذلك من صور الرزق.

تنويه: وقد يكون الفقر أيضًا نعمة! فلا تدري صديقي العزيز لو كنتَ غنيًا ماذا كنت ستفعل بالمال، وماذا كان

سيفعل المال بك؟ قد يفتِنُك وتتغيّر نفسيتك وتتبدّل طباعك وتتكبر وتتجبر، ويكون المال سبب دخولك جهنم والعياذ بالله؛ فأراد الله أن يعصمك ويحفظك من فتنة المال فهو -عز وجل- أعلم بنفسك منك وأعلم بالخير لها، فهو خالقها ويعلم طبيعتها.

لذلك لا تقنط ولا تحزن لقلة مالك؛ فالغِنَى والفقر لحكمة لا يعلمها إلا الله، فليس كل من وسع عليه رزقه يكون مكرمًا ولا كل من قُدِر عليه رزقه يكون مهانًا، بل قد يوسِع عليه رزقه إملاء واستدراجًا، وقد يَقدِر عليه رزقه حماية وصيانة له.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (الفجر ١٥-١٦)

قال الشاعر:

يا عائبَ الفقيرِ ألا تَزْدَجرْ عيبُ الغِنى أكبرُ لو تَعْتَبِرْ
من شَرَفِ الفَقْرِ ومِن فَضلِه على الغِنى إن صَحَّ منكَ النظرْ
أنَّكَ تعصي كي تَنالَ الغِنَى ولَيسَ تَعصِي اللهَ كي تَفتَقِرْ

***

نعمة الوالدين

يقولـون لا يشـعر بقيمـة الأبنـاء إلا مـن أنجَـب، وأنـا أقول وبقيمـة الوالديـن أيضًـا، فمـن أنجَـبَ يجـرّب عمليًـا مـا فعله والـداه معـه منـذ أن جـاء إلى الدنيـا، فيعيـش المراحـل بـكل مـا فيهـا مـن حـب وخـوف وتعـب ومشـقه، وسـاعتها فقـط سيشـعر عـن أي وقت مـضى بقيمـة والديـه وقيمة مـا قدّماه له حتـى يصـل لمـا وصـل إليه.

فـإذا كان لأحـد فضـل عليـك بعـد الله عـز وجـل فهـو لوالديـك، فمـن كان سـيرعاك في صغـرك، من كان سـيطعمك ويسـقيك، مـن كان سيَكْسِـيك ويحميـك، مـن كان سـيفهّمك ويعلّمـك، مـن كان سـيهذّبك ويقوّمـك، فلولاهمـا لكنـت ضِعـتَ أو هَلكـتَ مـن زمـان.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله -: **أمَر الله تعالى عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحثِّ على التمسُّك بتوحيده، فإن الوالدينِ هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق.**

انظر إلى حالك الآن، وإلى ما وصلتَ إليه واستشعر فضل والديك عليك، فلولا حرصهما على تربيتك منذ صغرك وتعليمك وتهذيبك ماكنت صرتَ إنسانًا يحترمه الناس ويقدّرونه، ولولا سعيهما وعملهما وكدّهما وإصرارهما على تعليمك، ماكنت تعلّمتَ ولا حصلتَ على المؤهلات الدراسية التي حصلتَ عليها، ولا كنتَ وصلتَ إلى الدرجات العلمية التي وصلت إليها، لولا اهتمامهما بك وبصحتك منذ صغرك والسهر على رعايتك وراحتك، ماكنت صرتَ صحيحًا سويًا قادرًا على العمل والكسب، لولا حرصهما على ممارستك الرياضة منذ صغرك ما كنتَ شببْت متمتعًا بالصحة والحيوية وما كنتَ صرت بطلًا رياضيًا.

واعلم صديقي العزيز أنك لن تجد أحدًا يحبك أكثر من والديك، حتى أنت لن تحبّ نفسك أكثر من حبهما لك، ولن تجد أحدًا يحرص عليك أكثر من والديك، ولن تجد أحدًا يحبّ لك الخير أكثر من والديك، ولن تجد من يفهمك

ويتفهّمك أكثر من والديك، فهما أوفَى من أي صديق وأقرب من أي حبيب، فهم يحبونك لنفسك، يحبونك كما أنت، يحبونك لأنك أنت، يحبونك على أي حال وفي أي ظروف، تتخلّى عنك الدنيا كلها ولا يتخلّى عنك والداك، تُغلَق أبواب الدنيا في وجهك، ولا يُغلَق باب والديك فهو مفتوحٌ دائمًا لك، مهما أخطأت، مهما بعدتَ، مهما تغيرتَ، يحبونك ولا يريدون منك شيئًا، فقط ما يريدونه هو أن تكون بخير.

إن غريزة الأمومة التي وضعها الله بداخل كل امرأة، جعلت قلبها يفيض بالحنان والحب والعطف، فلا حنان كحنان الأم ولا حب كحب الأم ولا عطف كعطف الأم، يقول الكاتب الفرنسيّ بلزاك: **قلب الأم هوَّة عميقة ستجد المغفرة دائما في قاعها.**

قال أبو علاء المعرى:

العيشُ ماضٍ فأكرمْ والديكَ به
والأُمُّ أولى بإِكرامٍ وإِحسانِ
وحسبُها الحملُ والإِرضاع تُدمِنه
أمران بالفضلِ نالا كلَّ إِنسانِ

أمـا غريزة الأبوة التي وضعهـا الله بداخل كل رجل، جعلت منـه يستشـعر ويتحمّـل مدى المسـئولية الملقـاة على عاتقـه، فهو مصـدر الأمـان والطمأنينـة والرعايـة وتحقيـق الرغبـات وتلبية المتطلبـات، هـذا فضـلًا عن إنـه القـدوة والمثل والبطـل الخارق لأبنائه.

قالوا عن الأب: (الرجال نوعان: أبي وبقية الرجال)

(يسألونك عن الأمان، قل حذاء أبي عند الباب)

فمجـرد وجـود الأب يعطـي الإحسـاس بالأمـان والثقـة، حتـى وإن كان طريـح الفـراش، أتذكـر نفـسي وأنـا صغـير، عندمـا كان يقـول لي أبي أنـه مسـافر وأننـي رجـل البيـت حتـى يعـود، كنـت أفرح لقولـه، ولكنـي في نفس الوقت كنـت أرتعد مـن داخـلي؛ لأنني سـأبيت بـدون أبي، فكانـت أي حركـة ولو خفيفـة توقظنـي، وأي خبطـة ولـو طفيفـة كانـت ترعبنـي.

فـإذا كان والـداك أو أحدهما على قيد الحيـاة؛ فاغتنم الفرصة وواصـل الـبر، والطاعـة، والمسـاعدة، وإذا كنت مقـصرًا فبادر وسـارع قبـل فـوات الأوان، فغـيرك أبعدَتْـه الأيـام وأنسـتْه المشـاغل حتـى اسـتيقظ عـلى خـبر الفراق.

قال سفيان بن عيينة في قوله عز وجل **(أن أشكر لي ولوالديك) من صلّى الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه عقبهما فقد شكرهما.**

لقد كان السلف الصالح مثالًا يُحتذَى به في بر الوالدين، فكان محمد بن سيرين يخفض صوته وهو يخاطب أمه بشكل ملحوظ، حتى كان يظن من يراه أنه مريضٌ، وعبد الله بن عون أعتق رقبتين لأن صوته عَلا صوت أمه عندما أجاب نداءَها، وكان الربيع بن خثيم يميط الأذى عن الطريق ويقول هذا لأمي وهذا لأبي، وكان الزبير بن هشام يرقَى إلى السطح في أيام الحر، وكان عندما يأتيه الماء ليشرب فإذا وجده باردًا لم يشربه ويرسله لأبيه.

انظر لمن حولك صديقي العزيز، لمن فقد والديه أو أحدهما، انظر لمن وُلِد يتيمًا، انظر لمن حُرِم من نعمة الوالدين، ثم انظر إلى والديك، واستشعر عظم ما أنت فيه، استشعر فضل الله عليك، فما أنت فيه الآن يتمناه كثير غيرك، فكَم من إنسان يتمنّى أن يعود والداه إلى الدنيا ليبرهما أو يزداد برا بهما.

تنويه: وبر الوالدين نعمة عظيمة، فإذا رزقتها فاحمد الله عز وجل أن أنعم عليك بها، ويسّرَها لك، وقدّرك عليها،

وجعلك بارًا بأهلك، وهناك من يعوق أهله والعياذ بالله، فالبرّ سببٌ لرضا الله، وزيادة الرزق، والطمأنينة، والتوفيق في الدنيا كما أنه سببٌ لدخول الجنة، وزيادة الأجل وطرح البركة في العمر، قال نبينا الكريم: (**لا يَرُدُّ القدرَ إلا الدُّعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلا البِرُّ**).

كما أن بر الولدين سببٌ لقبول الدعاء، وتحقيق الرجاء، **ويذكرُ في الأثر أنّ ثلاثةً كانوا في غارٍ في جبلٍ؛ فنزلت صخرة فسدّتْ هذا الغار على الثلاثة الذين هم فيه، فخافوا على أنفسهم من الموت، فاقترح أحدهم أن يذكُر كلُّ واحدٍ فيهم عملًا صالحًا عمله ابتغاء وجه ربّه، لعلّ الله بهذا العمل يفرّجُ عنهم كربتهم ويزيل هذه الصخرة عنهم، فما كان من أحد الرجال إلا أن ذكر أنّه لا يطعمُ أولاده أيَّ طعام أو يسقيهم إلا أطعمَ والديه قبل أولاده، وطلب من ربّه إن كان عمل هذا العمل ابتغاء وجه ربّه أن يفرّجَ عنهم كربتهم ويزيل الصخرة عنهم، فانزاحت الصخرة.**

وبر الوالدين ليس فقط في حياتهما، وإنما أيضًا يستمر بعد وفاتهما، فالصلاة عليهما قبل دفنهما بر، والدعاء لهما بالمغفرة برّ، قال رسول الله ﷺ: (**إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنَّى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**).

والتصدق عنهما بر، وسداد ديونهما برّ، والصوم عنهما برّ، والحج والاعتمار عنهما برّ، ووصْلِ وإكرام أصدقائهما برّ.

قال ﷺ: **(إن أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولّي)**

***

نعمة الإمهال

الإحصائيات تقول أن عدد من تحت الأرض أكثر ممن فوقها؛ فكونُك تعيش فوق الأرض حتى الآن، تتنفس وتأكل وتشرب، تعمل وتسافر، تعيش الحياة بكل مناحيها وتتمتع بكل ما فيها، فهذا في حد ذاته نعمة من الله عز وجل، أن أمهلك حتى الآن.

تذكر معي هذه المرة أو أكثر، التي رأيت فيها الموت بعينيك، وظننتَ أنّك لن تنجو ونجوتَ وأمهلك، تذكر معي هذه المرة التي وقف فيها الطعام في حلقك، وكدتَ أن تموت ونجوتَ وأمهلك، تذكر معي هذه المرة التي كدتَ تغرق في البحر ونجوتَ وأمهلك، تذكر معي هذا الحادث الذي تعرضتَ له أنت وآخر؛ فمات هو ونجوتَ أنت وأمهلك، تذكر معي هذه المعصية التي ارتكبْتَها أنت وغيرك، فمات هو عليها ونجوتَ أنت وأمهلك.

أمهلك لتفيق من غفلتك، وتجدد توبتك، أمهلك لتتدارك ما فاتك، وتزيد حساناتك، أمهلكَ لتصحّح عيوبك وتسدد ديونك، أمهلك لتعتبر.

فكل يوم جديد تعيشه فرصة، بل كل لحظة، انظر إلى من كانوا معك بالأمس أين هم الآن؟ في قبورهم ينتظرون دعوة من غيرهم، لا يملكون لأنفسهم شيئًا؛ فقد رحلوا عن دار العمل، أما أنت فلا زِلتَ فيها، فاستثمر الفرصة واعمل لنفسك، واستغفر لها، وزِدْ من الطاعات وعمل الخيرات، قبل فوات الأوان، فهناك من يتمنون ما أنت فيه الآن، يتمنّون لو يعودون إلى الحياة مرة أخرى، ولو لبضع ثوان، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (**المؤمنون ٩٩**)، فالإمهال بمثابة عمر جديد؛ فاحمد الله الذى أمهلك.

تنويه: والإمهال قد يكون في بعض الأحيان استدراج؛ فاحذر إمهال الله لك وأنت تعصيه، فإذا وجدتَ نفسك ترتكب الذنب ويسترك، وتكرره ويسترك، وتكرره ويسترك، ووجدتَ الدنيا مقبلة عليك وأمورك ميسرة

رغم هذا، فخَف واحذر من استدراج الله لك، فالله يمهلك وكأنه يهملك.

قال رسول الله ﷺ: **(إن الله ليُملِي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته)**

قال ابن الجوزي رحمه الله: **(سبحانه وتعالى يُمهِل كأنه يُهْمِل، فترى أيدي العصاة مطلقة كأنه لا مانع، ثم إذا أخذ أخَذَ أخْذَ جبار؛ فترى على كل غلطة تبعة)**

***

نعمة الأبناء

قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف ٤٦)، وقد قال الشيخ الشعراوي رحمه الله في تفسير هذه الآية، أن المال لم يقدّم على البنون لأنه أعز وأغلى، وإنما لأن كل إنسان يمتلك المال وإن قلّ، ولكن ليس كل إنسان لديه البنون.

ما أجمل أن ترى أبناءَك وهم يكبرون أمام عينيك يومًا بعد يوم، يتعلمون شيئًا فشيئًا، ما أجمل طفولتهم وما يحدث فيها من مواقف مضحكة تدخل البهجة على البيت، بداية من تعلمهم الحَبْي ثم المشي، وتلعثمهم في الكلام، وطريقة نطقهم، والأجمل إن كان منهم من أخذ منك بعض الخصال والتصرفات، التي كنت تفعلها وأنت في مثل سنه، فساعتها

تشعر وكأنك ترى نفسك في مرآة مصغّرة، وخاصة إذا كان يشبهك بشكل كبير.

يقول الشاعر:

وإنَّما أولادُنا بَيْنَنا أكبادُنا تَمشي على الأرضِ
إنْ هَبَّتْ الرِّيحُ على بَعضِهم لَمْ تَشبعْ العينُ مِن الغَمضِ

فالأولاد نعمة وزينة وتفاخر، فما أجمل أن تنجب من يحمل اسمك ويورّثه لأبنائه فيطيل بقاء سيرتك في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (**النحل ٧٢**)، وما أجمل أن يرزقك الله بابن بارٍّ بك مطيع لك، يسعدك ويساعدك، يعينك ويأخذ بيدك في مشوار الحياة، يكون عكازك الذي تستند عليه.

أما البنات فهنّ نعمة وهبة، ولحكمة قدّم البارئ سبحانه ذكر نعمة هبة الإناث على الذكور، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (**الشورى ٤٩-٥٠**).

وعندما وصف القرآن الكريم الأنثى بالهبة، كان لغرض التعبير عن أنها خير ونفع لأبويها، ولهذا ينبغي أن يكون الأثر النفسي المترتّب على مجيئها هو السعادة والبهجة، والشعور بالرضا والامتنان لواهبها ومانحها، ويرى بعض المفسرين أن تقديم الإناث على الذكور هو إرادة التأكيد على أن الإنجاب خاضع لمشيئة الله تعالى وحده، فرغم أن رغبة الإنسان غالبًا ما تتعلق بالذكور دون الإناث، إلا أنّ ذلك ليس خاضعًا لرغبته، فهو تعالى وحده من يقدر الهبة.

وهبة البنات نعمة يجد العبد ثمرتها في الدنيا بسعة الرزق، والبر الذي يجده من بناته، وفي الآخرة بالشفاعة ودخول الجنة.

قال رسول الله ﷺ: **(من وُلِدت له ابنة فلم يُؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها -يعني الذكر- أدخله الله بها الجنة)**

وقال أيضًا ﷺ: **(من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار يوم القيامة)**

قال صالح بن أحمد: كان أبي إذا وُلِد له ابنة كان يقول: **(الأنبياء كانوا آباء بنات)**.

فما أجمل أن يشبّ أبناؤك صالحين، ناجحين، نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم، ما أجمل أن تراهم يتقلدون المناصب ويحصدون الألقاب والدرجات العلمية، ساعتها ستشعر أنك نجحت في تأدية رسالتك، أديتَ المطلوب منك، والنعمة الكبيرة أن يرزقك الله برهم.

ومن السعادة التي تكفل الله بها لعباده المؤمنين أن يجمَعَ شمل الأسرة الواحدة، الوالدين والأولاد، بعد دخولهم الجنة جميعًا برحمته، وشفاعة النبي محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ **(الطور ٢١)**

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: **إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه.**

وقال الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى نور على الدرب» (العقيدة/ الإيمان باليوم الآخر): **إن الإنسان يجتمع بذريته في منزلةٍ واحدة إذا كانت الذرية دون منزلته.**

فإذا كنت ممن أنعم الله عليهم بنعمة الأبناء، فاحمد الله عز وجل واشكره على هذه النعمة التي وهبك إياها فغيرك

يتمناها، غيرك يودّ لو يدفع كل ثروته ويرزقه الله بابن أو ابنة.

وشكر نعمة الأبناء يكون بحسن تربيتهم ورعايتهم وتعليمهم، وإطعامهم من حلال؛ فأبناؤك أمانة ستسأل عنهم يوم القيامة، قال ﷺ **(كلكم راعٍ وكلّكم مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسئول عن رعيته)**.

كان هناك طفل صغير أراه والده زجاجة عصير صغيرة، وبداخلها ثمرة برتقال كبيرة، تعجّب الطفل كيف دخلَت هذه البرتقالة داخل هذه الزجاجة الصغيرة؟ وهو يحاول إخراجها من الزجاجة، عندها سأل والده كيف دخلَت هذه البرتقالة الكبيرة في تلك الزجاجة ذات الفوهة الضيقة؟! أخذه والده إلى حديقة المنزل وجاء بزجاجة فارغة، وربطها بغصن شجرة برتقال حديثة الثمار، ثم أدخل في الزجاجة إحدى الثمار الصغيرة جدًا، وتركها ومرت الأيام فإذا بالبرتقالة تكبر وتكبر، حتى استعصى خروجها من الزجاجة.

هكذا الحال مع أبنائك، فما ستزرعه بداخلهم وهم صغار سيكبر معهم وسيصير عادة، وسيكون من الصعب إخراجه منهم؛ لأنهم أضحَوا على قناعة به، فعلى ما ستربيهم سيشبّون، وعلى ما سيرونه منك من تصرفات

سيفعلون، فحاذر من تصرفاتك أمام أبنائك؛ فأنت القدوة والمثل وأنت الأسطورة والبطل، فاحذر أن تكذب أمامهم، أو تَعِد بما لن تفعل، واعلم أن أبناءَك زرعة كما ستزرعها ستجنيها.

قال الشاعر:

ينشأ الصغير على ما كان والده

إن العروق عليها ينبت الشجر

وقال أيضًا:

مشى السَّرَطانُ يومًا باعوجاج

فقلَّدَه بمشيته بَنُوهُ

وينشأُ ناشئُ الفِتيان مِنّا

على ما كان عَوَّده أبوهُ

يقول ابن القيم في كتابة تحفة الودود في أحكام المولود: **(فمَن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آبائهم كبارًا).**

تنويـة: وقـد يكـون عـدم الإنجـاب أيضًـا نعمـة! فأنـت لا تعلـم الخـير لنفسـك مثلـما يعلمـه الله، فطالمـا أراد الله هـذا فاعلـم أنـه الأفضـل لـك، والخـير لـك، فـما أدراك لـو كنـتَ أنجبـت، فقـد كان مـن الممكـن أن تكـون ذريتـك طالحـة، عاقـة لـك، تهينـك وتكـون عبئًـا عليـك، تحزنـك وتكـسر نفسـك، تشـقّ عليـك وترهقـك ويعايـرك بهـا النـاس، أو كان مـن الممكـن أن تكـون ذريتـك سـببًا في معصيتـك لربـك، فتسرق وترتـشي أو تتاجـر في الحـرام لتلبّـي احتياجاتهـم التـي تفـوق إمكانياتـك.

قـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ **(التغابـن ١٤)**

أو تجـزع لمـرض أحدهـم فتعـترض -والعيـاذ بـالله- عـلى قضـاء الله وقـدره.

انظـر إلى قصـة الغـلام الـذي قتلـه الخـضر عليـه السـلام، والـذي بالطبـع حزن والـداه على قتلـه، ولكنهما كانـا لا يدريان مـاذا كان سـيفعل بهـما في المسـتقبل، وأن بقتلـه عصمهـما الله وحفـظ عليهـما دينهـما.

ولهذا قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ **(الكهف ٨٠) أي** يحملهما حبه على متابعته على الكفر.

قال رسول الله ﷺ: **(الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ يوم طُبِع كافرًا)**

قال قتادة بن دعامة -وهو تابعي وعالم في اللغة العربية-: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرضَ كل امرئ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

***

نعمة الصلاة

هل تأملتَ وتدبرتَ في الأذان من قبل؟ هل استشعرتَ ذلك الإحساس وذلك المعنى أنّ الله عز وجل يدعوك لزيارته في بيته، يدعوك لمقابلته والوقوف بين يديه، ليس مرة واحدة وإنما خمس مرات في اليوم؟! الله، الملك، رب السموات والأرض، رب المشارق والمغارب، الرحمن الرحيم يدعوك لمقابلته والوقوف بين يديه وأنت الأحوج إليه، الغني العزيز يدعوك لمقابلته وأنت الفقير إليه، الكريم يدعوك لمقابلته وهو لا يحتاج منك شيئًا.

ففي الصلاة حياتك وسعادتك وراحة نفسك وطمأنينة قلبك، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ **(الرعد٢٨)**، في الصلاة تقف بين يدَي الله عز وجل تناجيه فيسمعك، تدعوه فيستجب لك، تستغفره فيغفر لك، تتوب إليه فيتوب عليك؛ فالصلاة تجمع بين العديد

من النعم والفضائل، **أولًا**: الخطوات التي تخطوها ذاهبًا إلى المسجد لأداء الفريضة؛ خطوة تحطّ عنكَ سيئة وخطوة ترفعكَ درجة، قال ﷺ: **(من تطهّرَ في بيتِه ثم مشى إلى بيتٍ من بيوتِ الله؛ ليقضي فريضةً من فرائضِ الله، كانت خطوَتاهُ إحداهما تَحطُّ خطيئةً، والأخرى ترفعُ درَجةً)**.

كما أنكَ في كل مرّة تذهب فيها إلى المسجد، وتعود يُعدّ لكَ الله عز وجل نُزُلًا في الجنة كلّما ذهبتَ وعدتَ، والمقصود ب»نُزلًا» هنا هو مكان استقبال الضيف، قال ﷺ: **(مَن غدا إلى المسجدِ أو راح أعدَّ اللهُ له نُزلًا في الجنَّةِ كلَّما غدا أو راح)**.

ثانيًا: الأجر الذي تؤجره على أدائك للفريضة التي أمرك الله عز وجل بها، والصلاة في جماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة، وفي المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.

وثالثًا: تلاوة القرآن الكريم والإثابة على كل حرف تقرأه، قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْف ولامٌ حَرْفٌ وَميمٌ حَرْفٌ)**.

رابعًا: التسبيح، وهو ذكرٌ لله تعالى وله أجر عظيم عند الله، ومنه أن العظيم عز وجل يذكرك، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (**البقرة ١٥٢**) وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى، وهو من أعلام التابعين: (**ما تنعّم المتنعّمون بمثل ذكر الله تعالى**)، وقال الشيخ عبد العزيز الطريفي: (**الشهرة الحقيقية في السماء، ومِن أعظم أسبابها كثرة ذكر الله تعالى**)، قال الله تعالى في الحديث القدسي: (**إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسِي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منهم**).

خامسًا: الدعاء لنفسك ولغيرك من المسلمين؛ فيجازيك الله بمثل ما تدعو به لأخيك بظهر الغيب، قال ﷺ: (**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملَك: ولك بمثل**).

سادسًا: ثواب الصلاة على أشرف خلق الله سيدنا محمد ﷺ، قال ﷺ: (**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صلاةً وَاحِدَةً صَلَّ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**).

و الصلاة تكفّر ما قبلها، وما بينها وبين الصلاة التي تليها، إذا اجتنَبْت الكبائر.

قال ﷺ: (**ما من امرئٍ مسلمٍ تحضرهُ صلاةٌ مكتوبةٌ، فيُحسنُ وضوءَها وخشوعَها وركوعَها، إلا كانتْ كفارةً لما قبلها منَ الذنوبِ، ما لمْ يؤتِ كبيرةً. وذلكَ الدهرَ كلَّهُ**)

وقال أيضًا ﷺ: (**الصَّلواتُ الخمسُ والجمُعةُ إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى رمضانَ مُكفِّراتٌ ما بينَهنَّ إذا اجتنَبَ الْكبائرَ**).

ولبعض الصلوات نعم خاصة فضلًا عن النعم العامة للصلاة؛ فمن صلى الفجر فهو في ذمّة الله، وهل هناك أفضل من أن تكون في ذمة الرحمن وحمايته؛ فتشعر بالأمن والطمأنينة والسكون.

قال ﷺ: (**من صلّى صلاة؛ الصبح فهو في ذمة الله**)، ومن صلى الفجر فكأنما قام الليل كله، قال ﷺ: (**من صلّى الصبح في جماعة فكأنما صلّى الليل كله**)، وينجّيه الله تعالى من النار، قال ﷺ: (**لن يلجَ النار أحدٌ صلّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**)، ويدخله الجنة كما بشرنا نبينا الكريم: (**مَن صلَّى البردَينِ دخَل الجنةَ**)، والمقصود بالبردين صلاتَي الصبح والعصر.

كما أن أعظم فضل لصلاة الفجر هو رؤية الله عز وجل يوم القيامة، قال ﷺ: (**أمَا إنكم سترَون ربَّكم كما ترَون**

هـذا القمـر، لا تُضَامُّـون في رؤيتـه؛ فـإن اسـتطعتم ألا تُغلبـوا عـلى صـلاةٍ قبـل طلـوع الشـمس وقبـل غروبهـا، فافعلـوا) أي صـلاتي الفجـر والعـصر.

وتشـترك صـلاة العـصر مـع صـلاة الفجـر في العديـد مـن النعـم والفضائـل؛ فمـن أداهـا دخـل الجنـة، ورأى وجـه الله الكريـم يـوم القيامـة -كـما سـبق وذكرنـا سـابقًا-، كـما أخبرنا نبينـا الكريـم أن الملائكـة تنـزل في صـلاة العـصر وتشـهدها، فعـن أبي هريـرة أن رسـول الله ﷺ قـال: **(يَتعاقَبـونَ فيكُـم ملائِكَـةٌ بالليـلِ وملائِكـةٌ بالنهـارِ، ويجتمعـونَ في صـلاةِ الفجرِ وصـلاةِ العـصرِ، ثـم يَعْـرُجُ الذيـنَ باتـوا فيكُـم، فيَسـألُهم اللهُ -وهـو أعلَـمُ بِهِم-: كيـفَ تَرَكتُم عِبـادي؟ فيقولـون: تَرَكْناهُم وهُـم يُصلـونَ، وأتَيناهُـم وهُـم يُصلـونَ)**.

قـال الصحـابي أبو بـصرة الغفاري: صـلَّى بنا رسـولُ الله ﷺ العـصرَ بالمخمـصِ، فقـال: **(إنَّ هـذه الصـلاةَ -يعنـي العـصرَ- عُرِضَـتْ عـلى مَـن كان قبلَكـم؛ فضَيَّعوهـا، فمن حافـظ منكم اليـومَ عليهـا كان لـه أجـرُه مرتَين)**.

وقـد سـمّيت صـلاتَي الفجـر والعـصر بالبردين؛ لوقوعهما في بـردي النهـار أي (طرفيـه)، وهـي مـن الصلـوات الواجـب عـلى الإنسـان المحافظـة عليها وعـدم تضييعهـا؛ لأن وقتها يأتي

بعد الانتهاء من مشاق العمل، فيكون الجسم بحاجةٍ للنوم والاسترخاء؛ فكثيرًا ما يضيّعها المرء بسبب ذلك.

ومن صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، قال ﷺ: (**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ**)

قال الله تعالى في حديثه القدسيّ: (**قُسمَت الصلاة بيني وبين عَبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أَثْنَى عليّ عبدِي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجّدَني عبدِي، وقال مرة: فوّضَ إليّ عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**).

يا له من شعور عظيم أن تستشعر أن الله عز وجل يردّ عليك؛ فلذلك لا تتعجل في قراءة الفاتحة وأنت تصلي، واستشعر واستحضر ردَّ الله عليك في كل موضع، ستزداد خشوعًا وتركيزًا، والأكثر من ذلك لو استحضرت أن الله عز وجل ينصب وجهه تجاه وجهك وأنت تصلى؛ فلن تلتفت عيناك ولن يلتفت قلبك في الصلاة ولن تنشغل بغير الله.

قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ اللهَ أَمَرَكُم بالصلاةِ فإذا صلَّيتم فلا تلتفِتُوا فإنَّ اللهَ يَنصبُ وجهَهُ لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يلتفتْ)**.

وللصلاة كذلك فوائد صحية عديدة؛ فالصلاة تحرك المفاصل الفقرية أثناء الركوع، وهي ما يقِي خطر أمراض الظهر، وأشهرها الأمراض المتعلقة بالفقرات، فضلًا عن المهارة الفائقة التي يكتسبها العمود الفقري من عمليتَي الرجوع والسجود، هذا بالإضافة إلى أن خفض ورفع الرأس أثناء الصلاة يمنح شرايين الدماغ مرونة ما يساعد الإنسان على توسع الشرايين ويقيه من تصلبها، ويقيه أيضًا من الصداع، بالإضافة إلى أن السجود يساعد على التخلص من الطاقة السلبية الموجودة في الجسم، كما أن الحركات الرياضية التي نؤدّيها على شكل صلاة، تنشط القلب، وتنشط الدورة الدموية، تروّضُ الإنسان على التأقلم مع العمليات الفجائية؛ فالذي يصلّي توجد مرونة بعضلاته، فلو التفت فجأةً لا يصاب بشيء، هناك بعض أمراض الديسك تتأتَّى من حركةٍ فجائية، حركات الصلاة تكسب الإنسان مرونة.

توجهَتْ مصابةٌ بالشّقيقة (وهو صداع في الرأس دائم) إلى بلد أجنبي، لتعالج نفسها من هذا المرض الذي أقلقها

طوال حياتها، التقَتْ بطبيب قال لها: من أيّ بلد أنت؟ قالت له: من الشام، قال لها: أمسلمَةٌ أنتِ؟ قالت: نعم، قال لها: أتُصلِّين؟ قالت: لا، فقال لها: علاجُكِ في الصلاة.

انظر صديقي العزيز: السيدة انزعجت، وركبت الطائرة، ودفعت الآلاف المؤلّفة من أجل أن يقول لها الطبيب في هذا البلد الأجنبي: علاجُكِ في الصلاة، وما علاقة الصلاة بالشقيقة ؟ .

قال لها عندئذٍ: حينما يسجد المسلم يتجه الدم إلى رأسه، فتحتقِنُ الشرايين بالدم، فإذا رفع رأسه تراجع الضغط فجأةً من احتقان الشرايين، ومن انخفاض الضغط فجأةً تمتلك الشرايين مرونةً تقِيها التصلُّب، ومن أسباب الشّقيقة تصلّب شرايين الرأس، وضيق الشعريات، وعدم تروية الدماغ بالدم.

تنويه: دعني أذكّر نفسي وإياك صديقي العزيز، بكيفية أداء الصلوات الخمس المفروضة، فالفجر ركعتان (الفاتحة وسورة قصيرة، أو كما تحفَظ من القرآن في كل ركعة) وهي صلاة جهرية، الظهر والعصر (أربع ركعات، ركعتان الفاتحة وسورة قصيرة، أو كما تحفظ من القرآن، ثم النصف الأول من التشهد ثم ركعتان بالفاتحة فقط) وهما صلاة سرية، ثم المغرب ركعتان جهريتان بالفاتحة وسورة قصيرة في كل

ركعه، ثم ركعة سرية بالفاتحة فقط، أما العشاء فهو كالظهر والعصر أربع ركعات، ركعتان بالفاتحة وسورة قصيرة، أو كما تحفظ من القرآن، ثم النصف الأول من التشهد ثم ركعتان بالفاتحة فقط، ولكن العشاء تختلف في أن أول ركعتان جهريتان وثاني ركعتان سريتان).

ما يقال عند الركوع: سبحان ربي العظيم (ثلاث مرات) وزد كما شئت، ويقال أيضًا(سبُّوح قدُّوس رب الملائكة والروح)، فقد ثبتَ عن الرسول ﷺ أنه كان يقولها عند الركوع والسجود، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: (**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلائكة وَالرُّوحِ**)، وللعلم أن الرّكُوع ليس موضع دعاء، فاستفِض بما شئت من الدعاء في السجود.

وبعد الرفع من الركوع، نقول (سمع الله لمن حمده، أو يقولها الإمام ثم نكمل، ربنا ولك الحمد نحمدك حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه مِلْءَ السموات ومِلْءَ الأرض ومِلْءَ ما شئت).

عن الصحابي أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنه، قال: (**كان رسولُ الله ﷺ إذا رفَع رأسَه مِن الرُّكوعِ قال: ربَّنا لك الحمدُ، مِلْءَ السَّمواتِ والأرضِ، ومِلْءَ ما شِئتَ مِن شيءٍ بعدُ، أهلَ الثَّناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك**

عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لِما أعطَيتَ، ولا مُعطيَ لِما منَعتَ، ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ)

عن الصحابي رِفاعةَ بنِ رافعٍ، أنَّهُ قالَ: **(كنَّا يومًا نصلِّي وراءَ رسولِ اللهِ ﷺ. فلمَّا رفعَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَهُ منَ الرَّكعةِ، وقالَ: سمعَ اللهُ لمن حمدَهُ، قالَ رجلٌ وراءَهُ: ربَّنا ولَكَ الحمدُ. حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه. فلمَّا انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ، قالَ: منِ المتكلم؟ قالَ الرَّجلُ: أَنا يا رسولَ اللهِ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لقد رأيتُ بضعةً وثلاثينَ ملَكًا يَتبَادِرُونَها، أيُّهم يَكْتبُهُا أول)**

ما يقال عند السجود: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات وزد كما شئت، ويقال أيضًا (سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح).

ما يقال بين السجدتين: رب اغفر لي رب اغفر لي، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يدعو أيضًا بين السجدتين قائلًا: اللَّهمَّ اغفِر لي وارحَمني واجبُرني واهدِني وارزُقني.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ بينَ السَّجدَتَينِ: **(اللَّهمَّ اغفِر لي وارحَمني واجبُرني واهدِني وارزُقني)**.

ما يقال في التشهد الأول، أي بعد الركعة الثانية من الظهر والعصر والمغرب والعشاء: **(التحيات لله والصلوات والطيبات**

لله، السلام عليكَ أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)، ومن الممكن أن تكمل التشهد إلى آخره، أي تقول الصلاة الإبراهيمية؛ فقد أجاز ذلك فريق من العلماء، وكلاهما مقبول إن شاء الله.

أما التشهد الأخير، والذي يُقال في الركعة الأخيرة من كل صلاة: **(التحيات لله والصلوات والطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) ثم تكمل بالدعاء اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إني أعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ثم تسلّم.**

اللهم اجعلنا من المصلين ومن عبادك الصالحين آمين يا رب العالمين.

***

نعمة الحفظ

مـن أعظـم نعـم الله علينـا الحفظ؛ فلـو رَفَـع الحفيـظُ حفظَه عنـكَ لهلكـت، فالحفـظ هـو المظلـة التـي تحتمـي تحتهـا، وهـو الهالـة التـي تحيـط بـك فتحفظـك مـن كل اتجاه.

تذكّـر هذه المـرة التي كنت تمـرّ فيها بجوار إحـدى البنايات، وبمجـرّد أن مـررتَ سـقط مـن أعلاهـا جسـم ثقيـل خلفـك، ولـو لا حفظ الحفيـظِ لكان سـقطَ عليـك، تذكّر هذه المـرة التي كـدْتَ أن تعـبر الطريـق وفجـأة وقفت؛ لتمـر بجوارك سـيارة مسرعـة لـو كنـتَ عـبرتَ لدهسَـتك، ولكـن حفـظ الله هو من أخّـرك هـذا الجزء مـن الثانيـة، تذكّر معي هـذه المرة التـي فاتَك فيهـا موعـد إقـلاع الطائـرة، فأقلعَـت مـن دونـك فسـقطَتْ ومـات كل مـن فيهـا، تذكّـر معـي هـذه المـرة التـي كـدتَ أن تدفـع أموالـك لأحدهـم، لتشـاركه في مـشروع تجـاري ثـم لم يتـم الأمـر، ليتضـح لـك بعـد ذلـك أن هـذا الشـخص نصاب

ومطلـوب في العديـد من القضايـا، فلولا حفـظ الله لضاع منك ما لك.

قـال تعـالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعـد ١١)

انظـر في نفسـك وفي جوارحـك، واستشـعر نعمـة حفظ الله لـك مـن الأمـراض، فقد حفـظ عليـك صحتك، حفـظ يديك ورجليـك، حفـظ أُذُنَيـك وعينيـك، حفـظ كبـدك وكليتيـك، حفـظ قلبك.

انظـر إلى أولادك، يلعبـون ويلهـون، يفعلـون مـن الكوارث وأنـت لا تـدري، ولكـن الله يسـلّم ويحفظهـم لـك، يروحـون ويجيئـون مـن المدرسـة والنـادي وغـيره، وقـد شـملهم المـولى عـز وجل برعايتـه، وحفظهـم بحفظه مـن الحـوادث والخطف وغيره.

في يـوم كنـت أزور والـدتي وابنـي البالـغ مـن العمـر خمـس سـنوات، كان يلعـب وفجـأة ذهـب إلى الشرفـه وصعـد عـلى إحـدى الكـراسي التـي كانـت موجـودة فيهـا، وجلـس عـلى سـور الشرفـة، مسـتديرًا بكامـل وجهـه تجـاه الشـارع واضعًـا قدميـه عـلى حبـال الغسـيل، يجلـس نفـس الجلسـة التـي كنـت

أجلسها له وأنا أقف معه في الشرفة، وإذا بي أراه أنا ووالدتي من الخلف ونحن في طريقنا من إحدى الغرف إلى الشرفة؛ فأسرعَت أمي والتقطته وأنزلته، والله صديقي العزيز مهما حكيتُ لك شعوري ساعتها لن أستطيع وصفه، كيف صعد وكيف استدار وكيف جلس، وخاصة وأن السور سيراميك أملس وبالتالي أثناء الاستدارة كان من الممكن أن يسقط في الشارع، والله لو أصِف لك المشهد وأنا أراه وهو يجلس وجسده تجاه الشارع وقدماه تدليان خارج السور وظهره مستقيم، تشعر وكأن أحد يمسكه من الخلف، فمن أمسكه أن يسقط غير حفظ الحفيظ.

انظر إلى أهلك، والديك وإخوتك وزوجتك، كيف حفظهم الله ولم يُرِكَ فيهم سوءًا، انظر إلى دينك، وإلى علمك المحدود فيه، فأنت تحفظ بالكاد القليل من قصار السور لتصلي بها، وهناك من هو أكثر منك علمًا وتفقهًا في الدين، إلا أنه فُتِن وارتكب الكبائر، ومنهم مَن ارتدّ والعياذ بالله، وأنت حفظ الله لك دينك، وربَطَ على قلبك وثبتك.

انظر إلى بيتك واستشعر حفظ الله لك، بأن رزقك هذا البيت أيًا كان شكله، أيًا كانت مساحته، أيًا كان أثاثه، فقد رزقكَ إياه وحفظه لك وحفظك بداخله من البرد

والأمطار، ومن الحر والأتربة ومن أعين الناس، استشعر فضله وحفظه وتذكّر أن غيرك ينام في بيوت مهددة بالانهيار في أي وقت، وهناك من ينام في بيوت كجحور الفئران، لا أسقف لا حمامات لا مياه لا صرف لا حياة، وهناك من ينامون في العراء على الأرصفة، لا مأوى لهم في البرد والشتاء، حالهم مكشوف أمام الناس، لا خصوصية ولا غيره، والله إن الخصوصية في حد ذاتها نعمة.

انظر إلى سيارتك، أيًا كان نوعها، أيًا كان موديلها، أيًا كانت حالتها، فقد حفظها الله لك، وحفظك بداخلها من الأتربة والطين والمياه، ومن زحمة المواصلات ومضايقتها، وطول انتظارها.

انظر إلى مالك وكيف حفظه الله لك من الضياع والخسارة والسرقة.

ومن شكر نعمة الحفظ يكون بحفظ الله صديقي العزيز، فاحفظ الله يحفظك، احفظه بأن تأتمر بأوامره وتنتهى بنواهيه، بأن تتقيه، وتتقرب إليه بالطاعات وتبتعد عن المحرمات.

قال رسول الله ﷺ: **(احفظِ اللهَ يَحفظْكَ احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَكَ)**

ولحفظ الله أمثلة عديدة، على سبيل المثال لا الحصر، قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، انظر كيف حفظ الله عليه دينه؛ لأنه حَفِظَ الله واتقاه، واستحبَّ السجن على الفاحشة، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) **(يوسف ٣٢-٣٣)**

قال تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) **(يوسف ٢٤)**

و قصة الصحابي أبي بكر المسكي: ذكر ابن الجوزي في كتاب (المواعظ والمجالس) قال: **قيل لأبي بكر المسكي، إنا نشمّ رائحة المسك مع الدوام فما سببه فقال: والله لي سنين عديدة لم أمسّ المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليّ، حتى أدخلتني دارها وأغلقت دوني الأبواب، وراودتني عن نفسي فتحيّرتُ في أمري، فضاقت بي الحيل؛ فقلت لها: إن لي حاجة في الطهارة، فأمرَت بجارية لها تمضي بي إلى بيت الراحة- مكان قضاء الحاجة- ففعلت، فلمّا دخلتُ بيت الراحة أخذتُ العَذَرَة (الغائط)، وألقيتها على جميع**

جسدي، ثم رجعتُ إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دُهشَتْ ثم أمرَت بإخراجي، فمضيتُ إلى بيتي واغتسلتُ، فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائل يقول لي: فعلتَ ما لَمْ يفعله أحد غيرك، لأُطيّبَنّ ريحَك في الدنيا والآخرة، فأصبحتُ والمسك يفوح مني. واستمرّت تلك الرائحة لا تنقطع وبقيَت حتى مات.

وقصة أخرى لعبيد بن عمير (قاضي مكة)، وهو من التابعين وأحد رواة الحديث النبوي، ذكر ابن القيِّم في كتاب روضة المحبين ص٢٤٥، قال: **كانت هناك امرأة جميله بمكة، وكان لها زوج؛ فنظرت ذات يوم إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحد يرى هذا الوجه ولا يُفتَتَن به، قال: نعم، قالت من؟ قال عبيد ابن عمير، قالت: إذَن لي فيه فلأفتنّه، قال: قد أذنتُ لكِ، فأتته كالمستفتية فخلّى معها في ناحية من المسجد الحرام، فأسفَرَتْ عن وجهها مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أَمَةَ الله استتري، فقالت: إني قد فُتنت بك، فقال: إني سائِلُك عن شيء إذا صدقتِني نظرتُ في أمرك، قالت: والله لا تسألنّي عن شيء إلا صدقتك، قال: أرئيتِ لو أنّ ملَكَ الموتِ أتاكِ الساعة ليقبض روحكِ، أكان يسرُّكِ أن أقضيَ لكِ هذه الحاجة؟! قالت: اللهم لا، قال:**

صدقتِ، قال: فلو دخلتي قبرك وجلستِ للمساءَلة أيسُرّك أني قضيتُ لكِ حاجتَك؟ قالت: اللهم لا، فقال: صدقتِ، قال: فلو أن الناس أعطُوا كتبَهم ولا تدرِينَ أتأخُذِين كتابك بيمينك أم بيسارك، أكان يسرُّكِ أن قضيتُ لكِ حاجتك؟ قالت اللهم لا، فقال: صدقتِ، قال: فلو جيء بالميزان وجيء بكِ فلا تدرين أيخفّ ميزانك أو يثقل، أكان يسرُّك أن قضَيتُ حاجَتَك؟ فقالت: اللهم لا، فقال: صدقتِ، قال: فلو وقفتِ بين يدي الله للمساءَلة، أكان يسرّك أن قضيتها لك؟ فقالت اللهم لا، فقال: صدقتِ، ثم قال: اتقي الله يا أَمَةَ الله؛ فقد أنعم الله عليك وأحسن إليكِ، قال: فرجعت إلى زوجها، فقال: ما صنعتِ، فقالت: أنت بطّال ونحن بطّالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لي ولعبيد بن عمير أفسدَ عليّ امرأتي؛ كانت في كل ليله عروسًا فصيّرَها راهِبة.

فهؤلاء رجال حفظوا الله فحفظهم، وحفظ عليهم دينهم، اللهم اجعلنا ممن يحفظونك فتحفظهم بحفظك يا حفيظ، اللهم احفظني من بين يديّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

***

نعمة الماء

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ) (الأنبياء ٣٠)، هكذا قال المولى عز وجل في كتابه العزيز، فلك أن تتخيل وتدرك وتستشعر مدى أهمية الماء في حياتك وفي حياة كل كائن حيّ؛ فالماء يمثل نسبة ٦٥ إلى ٩٠ بالمائة من جسم الإنسان حسب المرحلة العمريّة؛ فالعضلات بها ماء، والعظام بها ماء، والدم به ماء، كما أن الماء يغطي ٧١ بالمائة من مساحة الكرة الأرضية، بالإضافة إلى أنه تقريبًا يستخدم في كل شيء؛ فلا شراب إلا بماء، ولا طعام إلا بالماء، ولا دواء إلا بالماء، ولا نظافة إلا بالماء، ولا زراعة إلا بالماء، ولا صناعة إلا بالماء.

فالماء نعمة لا تُقدّر بثمن لو سُلبَت من الإنسان لهلك، بل ليس فقط من الإنسان، وإنما لو سُلِبَت من أي كائن

حـيّ لهلـك، فمـن منـا يسـتطيع أن يعيـش بـدون مـاء؟ فلـو انقطَعَـتْ عنـكَ الكهربـاء فلهـا بديـل، أمـا المـاء لـو انقطـع فـما بديلـه؟

تذكّـر معـي هـذه المـرات التـي اسـتيقظتَ فيهـا مـن النـوم لتذهـب إلى عملـك، فلـم تجـد مـاءً في الصنبـور لكي تغتسـل، وتتنـاول مـشروب الصبـاح، حدثنـي عـن شـعورك بالارتبـاك والضجـر، ثـم حدثنـي أكثر عن شـعورك لـو اسـتمر الانقطاع ليـوم كامـل؟ ثـم صِـف لي شـعورك عند سـماعك صـوت الماء وهـو يعـود إلى مواسـير صنبـورك مـرة أخـرى بعـد الانقطاع؟ شـعور جميـل أليـس كذلـك؟! كأن فريـق الإنقـاذ قـد جـاء لنجدتـك.

تخيـل أننـا نضجـر لمجـرد انقطاع المـاء عنـا لبضع سـاعات، وغيرنـا لا يملـك المـاء في منزلـه، ويسـير إليـه يوميًا بالمسـافات ليحملـه عـلى أكتافـه إلى بيتـه، وهنـاك مـن يعيـش عـلى ميـاه الأمطـار وينتظرهـا مـن عـام إلى آخر، ونحـن ينزل علينـا المطر بملايـين المـترات المكعبـة مـن الميـاه ونحـن لا نعبـأ، ونتركهـا تذهـب مـع الـصرف دون أدنـى اسـتفادة أو تدبـر واستشـعار لأهميتهـا، فالحمـد لله عـلى نعمـة المـاء.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (الواقعة ٦٨-٦٩)

فقد رُوِي أن ابن السماك (وهو رجل فصيح اللسان، زاهد، اشتهر بمجالسته لهارون الرشيد ومناصحته له دون خوف أو رهبة، وكان هو صوت الضمير للرشيد)، دخل على هارون الرشيد الخليفة العباسي يومًا، فاستسقى الخليفة فأتى بكأس بها، فلما أخذها قال ابن السماك: على رِسلِكَ يا أمير المؤمنين! لو مُنعَت هذه الشربة بكَم كنت تشتريها؟! قال: بنصفِ مُلكِي.

سبحان الله، يشتري شربة ماء بنصف ملك يمتدّ من الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا.

ومن آيات الله في الماء أن جعلها بلا لون، ولا رائحة، ولا طعم، فلو كان للماء لونٌ لكانت صبغت كل الكائنات التي تدخل في تكوينها بلونها، وما كنا استمتعنا باختلاف الألوان وتعددها، ولو كان للماء رائحة لأصبحَت كل أنواع المأكولات ذات رائحة واحدة، وما كنا استمتعنا بالرائحة المميزة والشهية لشتى أنواع المأكولات، ولو كان

للماء طعم لأصبحَت جميع أنواع الخضروات، والفواكه، والمأكولات بطعم واحد، وهو طعم الماء فكيف يستساغ أكلها.

لكن حكمة الله في الخلق اقتضَت أن يكون الماء الذى نشربه، ونزرع به عذبًا، أي بلا لون، ولا رائحة، ولا طعم.

قال تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد ٤)

ولم تقف الحكمة في ماء الحياة، ولكن انظر إلى هذه المياه المختلفة؛ فماء الأذن مرٌّ لكى يقتل الحشرات والأجسام الدقيقة التي تدخل الأذن، وماء العين مالح ليحفظها؛ لأن شحمتها قابلة للفساد، فكانت ملاحتها صيانة لها، وماء الفم عذب ليدرك طعم الأشياء على ما هي عليه، إذ لو كانت على غير هذه الصفة؛ لأحالها إلى غير طبيعتها. حقًا لا نملك إلا أن نقول سبحان الله.

فمع كل شربة ماء باردة تشربها في يوم شديد الحرارة تذكّر نعمة الله، ومع كل دشّ ماء بارد يرطب عليك تذكّر نعمة الله، ومع كل مشروب ساخن تشربه في ليلة من ليالي

الشتاء تذكّر نعمة الله، ومع كل دش دافِئ يدفئك، ويريح أعصابك تذكّر نعمة الله.

قال تعالى في كتابه الحكيم: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) **(التكاثر ٨)**

عن جابر بنِ عبدِ الله قال: جاءنا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ؛ فأطعمناهم رُطَبًا وسقيناهم من المَاءِ فقال رسولُ الله ﷺ: **(هذا من النَّعيمِ الذي تسألونَ عنهُ)**.

وشُكر الله على نعمة الماء، يكون باستخدامها بحرص وعدم الإسراف فيها، فلا تستسهِل وجودها بوفرة، ولا تستصغر إهدارك لقطرة؛ فقطرة على قطرة تملأ إناء، وإناء على إناء يملأ نهرًا، وكما يُقال لا تُسرِف في الماء ولو كنتَ على نهرٍ جارٍ، وكما يُقال الماء أرخص موجود وأغلى مفقود.

***

نعمة التوبة

تخيّل معي لو كانت التوبة محدودة أو محدّدة! محدودة بعدد من المرات، وبعدها لا تُقبَل لك توبة مهما فعلت، ومحدّدَة لذنوب دون أخرى، كنا تقريبًا سندخل النار جميعًا والعياذ بالله.

ولكن لأن الله عز وجل يعلَمُ نفسك أكثر منك، ويعلم مدى ضعفها، ويعلم مدى إمكانية وقوعك المتكرر في المعاصي والذنوب؛ فجعل باب التوبة مفتوحًا حتى يأتيك ملك الموت، قال ﷺ: **(إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ مالم يُغَرْغِرْ)** أو حتى تطلع الشمس من مغربها، وقال ﷺ: **(من تاب قبل أن تطلُعَ الشمسُ من مغربِها، تاب اللهُ عليه)**.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **(النور ٣١)**

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) (الشورى ٢٥)

فالتوبة نعمة عظيمة، وفرصة جديدة مع الله ومع نفسك، لتتوبَ مِن ذنبك وتطهّر قلبك وتعود إلى ربك، فالتوبة تغفر الذنوب: (**والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**) وتعفو عن السيئات: (**هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**)، وتبدّل السيئات حسنات: (**إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا**)، وتجلب محبة الله عز وجل: (**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**)، كما أنها سببٌ للأجر العظيم: (**إن الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجر عظيمًا**)، وسببٌ لدخول الجنة (**إلا من تاب وامن وعمل صالحًا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا**).

ومن فضل الله على عباده في التوبة أَن جعل صَاحب الشمَال أَي كاتب السيئات، يرفع قلمه عن كتابة سيئة العبد عند ارتكابه للمعصية لمدة ست ساعات، فإذا تاب لم يكتبها وإذا ارتكبها كتبها واحدة.

قال ﷺ: **(إنَّ صاحبَ الشمالِ ليرفعُ القلمَ ستّ ساعاتٍ عن العبدِ المسلمِ المخطئِ، فإن ندِم واستغفر اللهَ منها ألقاها، وإلا كُتِبَتْ واحدةً)**

وبالإضافة إلى كل ما ذكرتُه من فضائل للتوبة وجزاءٌ مترتب عليها، ومغفرة وجنة ومحبة من الله، و أن الله شرع التوبة لك أنت، فلا مستفيد منها إلا أنت، ومن المفترض ألا يفرحَ أحد بها أكثر منك، إلا أن الله عز وجل يفرح بتوبتك أكثر منك، تخيل!

قال ﷺ: **(للهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه، حين يتوبُ إليه، من أحدِكم كان على راحلتِه بأرضٍ فلاةٍ، فانفلتت منه، وعليها طعامُه وشرابُه، فأيس منها، فأتى شجرةً، فاضطجع في ظلِّها، قد أيس من راحلتِه، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمةٌ عنده، فأخذ بخطامِها، ثم قال من شدةِ الفرحِ: اللهم! أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شدةِ الفرحِ)**

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه طريق الهجرتين: **(هذا الفرح من الله بتوبة عبده، مع أنه لم يأتِ نظيره في غيرها من الطاعات، دليل على عظم قدر التوبة وفضلها عند الله، وأن التعبّد له بها من أشرف العبادات، وهذا يدل على أن صاحبها يعود أكمل مما كان قبلها)**.

فقط كل ما عليك فعله صديقي العزيز، هو أن تتوضأ وتقف بين يدي الله مصليًا خاشعًا، خاضعًا، نادمًا، عازمًا على ألا تعود لذنبك مرة أخرى، تُبْ بالنهار تُبْ بالليل، تُبْ في البيت، تُبْ في المسجد، تب في أي مكان، فقط أَقدِم على الخطوة وتُب، فيتوب الله عليك.

قال ﷺ: **(إن اللهَ تعالى يبسطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدَه بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ)**.

يقول عز وجل في حديثه القدسي: **(يا عبادي إنَّكم تُخطئون بالليل والنَّهار وأنا أغفِر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفِرْ لكم، يا عبادي إنَّكم لن تَبلغوا ضَرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نَفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألتَه ما نقص ذلك ممَّا عندي إلا كما يَنقُص المِخْيَطُ إذا أُدخِل البَحر)**

فالتوبة فرصة فانتهزها، فكل الطرق ممهدة أمامك للتوبة، وكل الظروف مهيأة، فلو نطقَتْ جوارحك لقالت لك تُب، تُب لترتاح، تُب لتسعد، تُب لتطمئن، تُب ليحبك الله، وإذا أحبك الله أحبك الناس، واحترموك وقدّرُوك ووقّرُوك، وطاوعتْك الدنيا ويُسّرت لك أمورك، قال الحسن البصري: **(والله إني لأعلم ذنبي في خُلُق زوجتي وفي خُلُق دابّتي)**، تُب لتدخل الجنة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

***

نعمة الزوجة الصالحة

قال رسول الله ﷺ: (**الدُّنيا متاعٌ وخيرُ متاعِها المرأةُ الصَّالحةِ**) انظر إلى عبارات الحديث، وتأملها صديقي العزيز، فالنبيّ ﷺ لم يقل الدنيا متاع ومن خير متاعها المرأة الصالحة، وإنما قال الدنيا متاع وخيرُ متاعها المرأة الصالحة، في إشارة إلى أنه إذا رُزِقَ المرء بامرأة صالحة، فهذا خير متاع الدنيا.

فإذا كنتَ ممن أنعم الله عليهم بنعمة الزوجة الصالحة، فاحمد الله واشكُره الذي أنعم عليك بهذه النعمة، أنعَمَ عليك بمن تصاحبك في رحلة الحياة، وتهوّنها عليك، أنعَمَ عليك بمن تسعدك وتساعدك، أنعَمَ عليك بمن تصونك، في بيتك وعرضِكَ ومالِك، أنعم عليك بمن تُحسن تربية أبنائك، أنعم عليك بمن تعينك على العبادة وفعل الخيرات.

قال ﷺ: **(سعادةٌ لابنِ آدمَ ثلاثٌ، وشقاوةٌ لابنِ آدمَ ثلاثٌ؛ فمِن سعادةِ ابنِ آدمَ: الزوجةُ الصالحةُ، والمَركَبُ الصالِحُ، والمَسكَنُ الواسعُ، وشقوةٌ لابنِ آدمَ ثلاثٌ: المَسكَنُ السوءُ، والمرأةُ السوءُ، والمَركَبُ السوءُ)**

فالزوجة الصالحة، ذكية، رضيّة، تعرف متى وأين تتحدث إلى زوجها، تتحسّس دائمًا أفعالها، تعرف متى تشكو ومتى تعاتب، تعرف متى تطلب، وما تطلب وما هي إمكانيات زوجها، لا تنظر لما في يَد غيرها، ذكاؤها في التعامل يُضفِي على البيت طاقة إيجابية، وسعادة وراحة نفسيه تنعكس على أبنائها في التحصيل الجيّد لدروسهم، وكذلك على زوجها في الاجتهاد في عمله.

قال ﷺ: **(قلبٌ شاكرٌ ولسانٌ ذاكرٌ وزوجةٌ صالحةٌ تُعينُك على أمرِ دنياك ودينِك خيرٌ ما اكْتَنَزَ الناسُ)**

فما أجمل هذه الزوجة توقِظُك لتصلّي الفجر، لا تخشَى إزعاجك بقدر خشيتها عليك من نار جهنم، قال رسول الله ﷺ: **(رحمَ اللهُ رجلًا قامَ منَ اللَّيلِ فصلَّى، ثمَّ أيقظَ امرأتَهُ فصلَّت؛ فإن أبَت نضحَ في وجهِها الماءَ، ورحمَ اللهُ امرأةً قامَت منَ اللَّيلِ فصلَّت، ثمَّ أيقَظَت زوجَها فصلَّى فإن أبى نضحَت في وجهِهِ الماءَ)**.

وما أجمل هذه الزوجة التي تذكّرك بصيام النوافل، ما أجمل هذه الزوجة التي تذكّرك بزيارة أخوتك وزيارة أبيك وأمك وبرهما، ما أجمل هذه الزوجة التي تعينك على مساعدة المحتاجين، ما أجمل هذه الزوجة التي تساعدك على إطعام الطعام، ما أجمل هذه الزوجة التي تسّهل عليك مأموريتك في الحياة، فلا تجعلك تحزن ولا تشقى، ما أجمل هذه الزوجة التي تأخذ بيدك إلى الجنة.

***

نعمة الضمير

الضمير ذلك العضو المعنوي الذي يوجد بداخلك، ذلك القيّم الذي يعيش فيك، ذلك الصديق الوفيّ، الذي لا يَكلّ ولا يمَلّ من نصحك وإرشادك وتوجيهك، وتوبيخك، ذلك الصوت الذى يصرخ دائمًا بداخلك، منبّهًا ومعاتبًا ومحذرًا.

يقول فان جوخ الرسام الهولندي الشهير: (**الضمير بوصلة المرء**)

الأصل أن كلًّا منّا لديه ضمير، ولكن هناك من قتلَه مع سبق الإصرار، وهناك من حافظ عليه حيًا، فإذا كنتَ ممن أنعم الله عليهم بنعمة الضمير الحي؛ فاحمد الله الذي أحيا ضميرك فيك.

هناك مثل روسي يقول: (**في داخل كل منا محكمة عادلة تبقَى أحكامها يقظة في نفوسنا، هي الضمير**)

تخيل معي صديقي العزيز لو انعدم الضمير والعياذ بالله عند الجميع، وعِشنا جميعًا بلا ضمير، سنحيا كالحيوانات، وستتحول الدنيا إلى غابة، من يستطيع أن يفعل شيئًا سيفعله دون تأنيب ضمير، الكل سيسرق الكل، والكل سيقتل الكل، والكل كان سينصب على الكل، والكل سيستحلّ الكل.

قال توفيق الحكيم: (**ليس العقل ما يميز الإنسان عن الحيوان، ولكن الضمير**).

فالضمير هو صوت الحق، هو نفسك اللوامة التي تراجعك وترجّعك، هو نبراس الطريق وإنذار الحريق، هو ناقوس الخطر، هو الدرع الواقي من نفسك الأمارة بالسوء، فداخل كل منا ثلاثة نفوس، النفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء، وبينهما النفس اللوامة وهي الضمير.

قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (**القيامة ٢**)

فتعاملك بضمير يجعلك محبوبًا، ومطلوبًا، ومرغوبًا من الناس، يجعلهم يحبون التعامل معك، ويأتمنوك، ويصدقوك، ويستشيروك، ويحكّموك، ومن منا لا يحب التعامل مع صاحب الضمير، حتى تجدنا نقول (فلان عنده ضمير)

كنايـة عـن ضمـيره الحـي في التعامـل؛ فالتعامل بضمـير يُضفِي عـلى النفـس راحـة، وطمأنينة، وسـعادة، سـعادة عـلى صاحب الضمـير، وسـعادة عـلى مـن يتعامل معـه لأنه لمس منـه الضمير في التعامـل.

قـال الدكتـور محمـد راتـب النابلـسي الداعيـة الإسـلامي السـوري: **السـعادة الحقيقيـة موجـوده في الضمـير**.

فاللهم اجعلنا من أصحاب الضمير الحيّ.

***

نعمة الستر

تخيل معي صديقي العزيز، لو كانت هناك رائحة نتنة تصدر منا مع كل مرة نرتكب فيها معصيه، تخيل كيف كان سيكون حالنا؟ وكيف كنا سنعيش في الدنيا؟

قال الشاعر أبو العتاهية:

أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح
فإذا المستور منا بين ثوبيه فَضوح

ما أجمل ستر الله صديقي العزيز، فالله الستير يعلم ما يدور في نفسك، وما تخطط له من معصية، ويصبر عليك ويسترك ولا ينتقم منك، بل ويرسل إليك الرسائل

والإشارات والمعوقات لعلك ترتجع عما تنوي فعله، وبعد كل ذلك إذا فعلتَ المعصية يسترك ولا يفضحك، فكم من مرة أذنبتَ وسترَك، وكم من مرة فعلتَ ما لو اطّلَع عليه الناس لنبذوك، وصرتَ مفضوحًا بينهم وسترك.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: **(اعلم أن الناس إذا أُعجِبوا بك فإنما يعجبون بستر الله عليك)**

وقال بعض السلف: **أصبح بنا من نعم الله ما لا نُحْصيهِ مع كثرة ما نَعْصِيهِ فما ندري أيها نشكر؟ أجميلُ ما ظهر؟ أم قبيح ما سَتر؟.**

فلولا ستر الله علينا ما جالَسَنا أحد، فكم من زوجة ستُطلّق لو كُشِف ستر الله، وكم من أسرةٍ ستحطّم لو كُشِف ستر الله؟ وكم من أرحامٍ ستُقطَع لو كُشِف ستر الله؟ وكم من صاحبٍ سيفارق صاحبه لو كُشِف ستر الله؟ وكم من عَلاقة إنسانية ستمزَّق لو كُشِف ستر الله؟

ذكر الإمام ابن قدامة في كتابه التوابين، أن بني إسرائيل لحقهم قحطٌ على عهد سيدنا موسى عليه السلام، فاجتمع الناس إليه، فقالوا: يا كليمَ الله، ادعُ لنا ربك أن يسقينا الغيث، فقام معهم سيدنا موسى عليه السلام، وخرجوا إلى الصحراء، وهم سبعون ألفًا أو يزيدون، فقال موسى

عليه السلام: إلهي، اسقِنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرتع، والمشايخ الركع، فما زادت السماء إلا تقشعًا، والشمس إلا حرارة! فقال موسى عليه السلام: إلهي اسقِنا، فقال الله عز وجل: كيف أسقيكم وفيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة؟ فنادِ في الناس حتى يخرج من بين أظهركم فيه منعتُكُم المطر، وابتليتُكم بالقحط والجفاف، فصاح موسى عليه السلام في قومه: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة: اخرج من بين أظهرنا، فبِكَ منعنا المطر، فنظر العبد العاصي ذات اليمين وذات الشمال، فلم يرَ أحدًا خرج، فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه: إن أنا خرجتُ من بين هذا الخلق افتُضِحْت على رؤوس بني إسرائيل، وإن قعدتُ معهم مُنعوا لأجلي. فانكسَرَتْ نفسه، ودمعت عينه، فأدخل رأسه في ثيابه نادمًا على فعاله، وقال: إلهي وسيدي عصيتك أربعين سنة، وأمهلتني، وقد أتيتُك طائعًا فاقبلني، وأخذ يبتهل إلى الخالق تبارك وتعالى، فلم يستَتِّم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء، فأمطرت كأفواه القِرب -أي انهمر منها الماء مدرارًا- فعجب موسى عليه السلام وقال: إلهي سقيتَنا، وما خرج من بين أظهرنا أحد، فقال الله تبارك وتعالى: يا موسى سقيتكُم بالذي به منعتكم.

فقال موسى عليه السلام: إلهي أرني هذا العبد الطائع؛ فقال تعالى عز وجل: يا موسى إني لم أفضحه وهو يعصيني، أفأفضحه وهو يطيعني.

إن ستر الله على عباده لا يقف فقط عند ستر عيوبهم، وذنوبهم، وفضائحهم، وإخفائها عن عيون الناس، بل الستر أكبر من ذلك بكثير، انظر إلى بيتك الذي تسكن فيه، وكيف سترك الله بداخله أنت وأهلك، انظر إلى ملابسك وكيف سترك الله بداخلها من العراء، وأظهركَ بمظهر حسن أمام الناس، انظر إلى نقودك وكيف سترَكَ الله بها ورزقك مالًا تنفق منه على نفسك وأهلك وكفاك سؤال الناس، انظر إلى زوجتك وبناتك، وكيف سترك الله في عرضِك، بأن حفظهم لك من كل سوء، ولم يصدر منهن ما يجعلك تعيش مكسورًا مفضوحًا.

فمن منا لم يستشعر ستر الله عليه، من منّا لم يتعرض لموقف قال بعضه، (ربنا ستر)، (لولا ستر ربنا)، من منا لم ينجُ من حادث مروع، أومن حريق في بيته أو تجارته، أومن خسارة في أهله وأمواله ونجا منها بستر الله، من منا لم يرتكب خطأ كاد يتسبب في كارثة ومر الأمر بسلام بستر الله، من منا لم يتعرّض لموقف محرج بسبب المال ونجا منه بستر الله.

حدثني أحدهم أنه في ذات ليلة زاره فجأة أقارب زوجته، ولم يكن في بيته حينها جنيهًا واحدًا، ولا يوجد ما يقدّمه لهم من طعام أو شراب؛ فأخذ يفكر ماذا يفعل وكيف يتصرف، فإذا به وأثناء تحركه في بيته يجد ورقة ملونة أشبه بالنقود تقع بجوار دولاب غرفة نومه، فاقترَبَ منها والتقطها فإذا بها عشرة جنيهات.

ونعمة الستر ليست في الدنيا فقط، وإنما في الآخرة أيضًا، قال رسول الله ﷺ: **(إن اللهَ يُدْنِي المؤمنَ، فيَضَعُ عليه كنفَه ويَسْتُرُه، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذنبَ كذا.. أَتَعْرِفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم أَيْ ربِّ، حتى إذا قرَرَّه بذنوبِه، ورأى في نفسِه أنه هلَكَ، قال: سَتَرْتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفِرُها لك اليوم، فيُعْطَى كتابُ حسناتِه، وأما الكافرُ والمنافقُ، فيقولُ الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)**

وشكر نعمة الستر صديقي العزيز ليس بالقول فقط، وإنما بالفعل أيضًا، فلا تتّبع عورات الناس، وإذا علمتَ عنهم شيئًا مشينًا فلا تذيعه ولا تفضحه، قال رسول الله ﷺ: **(يا مَعشَرَ من أسلمَ بلِسانِه، ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبِه! لا تُؤذُوا المسلِمينَ، ولا تَتَّبِعوا عوراتهم؛ فإنَّه مَن تَتَبَّعَ عَوْرةَ أخِيه المسلمِ؛ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرتَه، ومَن تَتَبَّع اللهُ عورتَه؛ يَفضحْه، ولو في جَوفِ**

رَحْلِه ونظرَ ابنُ عُمرَ يومًا إلى الكعبةِ فقال: ما أعظَمَكِ! وما أعظَمَ حُرْمَتَك! والمؤمِنُ أعظمُ حُرْمةً عند اللهِ مِنْكِ).

وقال ﷺ: (ومَن سترَ مسلمًا سترَه اللهُ يومَ القيامةِ).

قال الشاعر:

لا تهتكنّ من مساوي الناس ما ستروا
فيهتكُ الله سترًا عن مساويكا
واذكر محاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا
ولا تُعِب أحدًا منهم بما فِيكا

يُروَى أنّ ملكًا فيه عرج وعور، أراد أن تُرسَم صورة له تُخفِي عيوبه، فأرسل إلى الفنَّانين والرسَّامين فأبَوا ذلك، فكيف يرسُمون لوحةً له دون إظهار عيبه الظاهر (العرج والعور)؟ فقام أحد الرسَّامين وقال: أرسمها لك، فرسمه وبيده بندقية الصيد، وقد أغمض عينه العوراء، وثنَى قدمه العرجاء، وكأنه مستند لاصطياد هدفه، هكذا ينبغي أن يكون المسلم.

اللهم استرنا فوق الأرض، واسترنا تحت الأرض، واسترنا يوم العرض عليك يا رب العالمين.

***

نعمة الصبر

هنـاك مقولـة تقول (مـن صبر ظفـر) أي فـاز وانتـصر، فإذا صـبرتَ صديقـي العزيـز انتـصرتَ، انتـصَرْتَ عـلى جزعـك ويأسـك، انتـصَرْتَ عـلى حزنك وألمـك، انتصَرْتَ عـلى صعوبة أيامـك، انتـصَرْتَ عـلى فقـرك، ومرضـك، انتـصَرْتَ عـلى شـهوتك ونفسـك الأمـارة بالسـوء، انتـصَرْتَ عـلى الشـدائد.

قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إني رأيتُ وفي الأيام تجربة

للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل مَن جَدّ في أمر يؤلمه

واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

فـإذا وجـدتَ نفسـك في الشـدائد رابـط الجـأش، هـادئ النفـس، منضبط الأفعـال، راضٍ بقضـاء الله وقـدره؛ فاحمد الله عـز وجـل الـذي رزقـك نعمـة الصـبر، الصـبر على شـهوتك، فلـم ترتكِـب الفاحشـة فيغضـب عليـك، ورزقـك الصـبر على فقـرك، فلـم تـسرق فيَغْضـب عليـك، ورزقـك الصـبر عـلى مرضـك فلـم تيـأس، فيصـدر منـك مـا يغضبـه عـز وجـل عليـك، فالصـبر نعمـة لا يمتلكهـا الجميـع.

قـال رسـول الله ﷺ: (**مـا أُعطـيَ أحـدٌ عطـاءً خيرًا وأوسـعَ مِـنَ الصَّبرِ**).

قـال الحسـن: (**الصبر كنـز من كنـوز الخير، لا يعطيـه الله إلا لعبد كريـم عنده**).

فالصـبر كـما يقولـون مفتـاح الفـرج، ومفتـاح الجنـة أيضًـا، قـال الله تعـالى في كتابـه الحكيـم: (وَجَزَاهُـم بِمَا صَبَـرُوا جَنَّةً وَحَـرِيرًا) (**الإنسـان١٢**)

فالصـبر دواء مريـر، ولكـن خـيره كثير وجـزاؤه وفـير، قال تعـالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُـم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (**الزمر١٠**)، فالصـبر صديقـي العزيـز مطلوب ومَرغـوب، فمطلـوب منك صديقـي العزيـز أن تتحـلّى بالصـبر، في جميـع تصرفاتـك في

الحياة، بدءًا بالعبادات التي أمرك الله عز وجل بها، فتصبر على المجهود المبذول منك في الصلاة، والصوم، والحج، والعمرة، وستجد الله عز وجل معك يعينك ويقويك.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (**١٥٣ البقرة**).

ثم مرورًا بمعاملاتك مع الناس، والصبر على آذاهم ومضايقاتهم، وانتهاءً بجميع الشدائد والمصائب التي تمر بك، من جوع، وفقر، وفقدان عزيز وغيره، يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (**البقرة ١٥٥-١٥٧**).

والله عز وجل أخبر أنه يحب الصابرين، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (**آل عمران ١٤٦**)، وأخبر جلّ وعلا أن الفلاحَ في الدنيا والآخرة يناله الصابرون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (**آل عمران ٢٠٠**).

تنويه ١: وإذا كان الصبر في الضراء واجب، فهو في السراء أوجب، قال أحد الحكماء: **الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء**، وذلك لأنك في السراء مُطلَقُ العنان، قادرٌ على التمرد، ولكنك في الضراء لا حولَ لَكَ ولا قوة.

قال الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: (**الصبر على السراء أشدُّ؛ لأنه مقرون بالقدرة، ومن العصمة ألا تقدر، فالجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرَته الأطعمة اللذيذة الطيِّبة؛ فلهذا عظُمت عند الله محنةُ السراء**)

تنويه ٢: إذا وجدت في نفسك قلة الصبر، فدرب نفسك عليه وأخلص النية، وشيئًا فشيئًا سيرزقك المولى عز وجل الصبر، الذي هو أحد أهم فنون التعامل مع الشدائد؛ فالصبر سلاح مهم لمواجهة المصائب والشدائد في حياتنا الدنيا، والتي لا تخلو من المنغصات والعثرات والتقلبات، فهي دار ابتلاءات؛ فلا دنيا بلا مصائب وشدائد، ولا علاج ولا سبيل لتخطّي هذه المنغصات والعثرات إلا بالتحلي بالصبر.

يقول المولى عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (**البلد ٤**)، **أي** في تعب ومشقة.

وتذكّر دائمًا بأنه لا يوجد عبد لم يبتلَ، وبالتالي لابد وأن تُبتَلَى، قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (**آل عمران ١٤٠**)، فأمرُ الله نافذٌ لا محالة، وأنت كعبد ليس لك حول ولا قوة في الأمر، فمن العقل والذكاء الرضاء بقضاء الله وقدره، والرضوخ لمشيئته عز وجل، حتى تخرج من المحنة برضاه خيرًا من أن تخرج منها بسخطه.

وكن على يقين بأن الفرج قادم لا محالة، وأن المسألة مسألة وقت، كن على يقين إن بعد العسر يسرًا، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (**الشرح: ٥-٦**).

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (**وجدنا خيرًا عِشنا بالصبر**).

اللهم ارزقنا الصبر، واجعلنا من عبادك الصابرين، اللهم اجعلنا ممن تقول لهم الملائكة في جنات عدن كما أخبرتنا في كتابك العزيز: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (**الرعد ٢٤**).

***

الفهرس

المقدمة..... ٥
نعمة الإنسان..... ٧
نعمة العقل..... ١٠
نعمة البصر..... ١٦
نعمة السمع..... ٢٢
نعمة النطق..... ٢٨
نعمة الصحة..... ٣٢
نعمة الشم..... ٣٩
نعمة المال..... ٤٢
نعمة الوالدين..... ٤٧
نعمة الإمهال..... ٥٤
نعمة الأبناء..... ٥٧
نعمة الصلاة..... ٦٥
نعمة الحفظ..... ٧٦
نعمة التوبة..... ٨٨
نعمة الزوجة الصالحة..... ٩٣
نعمة الضمير..... ٩٦
نعمة الستر..... ٩٩
نعمة الصبر..... ١٠٥